الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

الاستعارة والسخرية في الدرس العرفاني
قراءة في كتاب الاستعارة والسخرية لعطية سليمان

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة: راضية بوطبيشة

إشراف الأستاذ: أ.د عبد الحليم معزوز

اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
د. أوريدة قرج	المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف – ميلة	رئيسا
أ.د. عبدالحليم معزوز	المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف – ميلة	مشرفا ومقررا
د. عزوز سطوف	المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف – ميلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

شكر وعرفان

{ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّه عملَكُم وَرَسُولُهُ وَالمؤمِنُونَ }

بعد حمد الله وشكره أن يسر لي إتمام هذا العمل فله الشكر أولا على منحنا

القدرة و التوفيق والسداد لإتمامه.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى سندي ومسندي وضلعي الثابت الذي لا يميل **عائلتي** من أكبر فرد

فيها إلى أصغره, لكم مني أسمى عبارات الشكر والتقدير.

وإيمانا مني أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله, أتوجه بجزيل الشكر والعرفان

وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف

البروفيسور عبد الحليم معزوز

تقديرا لجهوده المبذولة وتفانيه في توجيهنا, ندعو الله أن يطيل في عمره و يبارك في صحته وينفع

بعلمه, وأن يجزيه خير الجزاء كما جازى عباده الصالحين.

إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد, ونسأل الله تعالى أن يوفقنا و يسدد خطانا.

مقدمة

تعد كل من الاستعارة والسخرية من المباحث المهمة في الدرس البلاغي فالمتتبع لهما يجد أن أول من اهتم بهما القدامى، حيث بدؤوا في تأليف العديد من الكتب حولهما، فتناول البلاغيون الاستعارة وبحثوا وفصلوا فيها وعدّوها مسألة لغوية لا تخرج عن هذا السياق، أما السخرية فدرست قضية أدبية لدى علماء الأدب والنقاد وحصرت في كونها لونا من ألوان الأدب.

أما المحدثون فقد نظروا إليهما من جانب آخر وعدوهما مجالا خصبا في الدراسات الحديثة بسبب طبيعتهما المجازية، فكان لزامًا توضيح كيفية إنتاج الاستعارة والسخرية، وتفسير قدرة المتلقي على فهم القصد منهما، وهذا ما سعت الدراسات الحديثة إلى تحقيقه، فحاولت تفسيرهما وفهم كيفية عملهما بعيدا عن كونهما أداتين لغويتين فقط، فمنهم من درسهما في الدماغ كالعرفانية التي رأت أن الاستعارة عملية ذهنية(تصورية) قبل أن تكون لغوية، ومنهم من ركز على السياق كالتداولية، في حين عني علم الأعصاب بكشف اللثام عن مكان معالجتهما، لذا أضحى من الضروري بيان نظرة القدامى والمحدثين لهما، ولكن تركيزنا كان على المحدثين لبيان الرؤية الجديدة، فوقع اختيارنا على أحد العلماء المحدثين الأحياء وهو عطية سليمان أبرز علماء اللسانيات العصبية، فكان موضوعا موسوما "**الاستعارة والسخرية في الدرس العرفاني قراءة في كتاب الاستعارة والسخرية لعطية سليمان** "

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع أسباب ذاتية، تتمثل في رغبتنا في البحث في مجال الدراسات الحديثة وطرق مواضيعها، بالإضافة إلى فضولنا لمعرفة العلاقة التي جمعت الدماغ بالاستعارة والسخرية.

وأما الأسباب الموضوعية: فقد تمثلت في قلة الدراسات التي تجمع بين الاستعارة والسخرية في إطار التداولية والعرفانية في دراسة واحدة.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز التظافر الذي صنعته كل من التداولية والعرفانية في إطار تحليلهما للاستعارة والسخرية، والكشف عن التصور الذهني الحديث للاستعارة والسخرية ودور السياق في ذلك، وبيان آلية عمل الاستعارة في الدماغ ودورها في الإبداع والتفكير.

ومن أجل الوصول إلى أهداف الدراسة، سعينا جاهدين إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما هي الرؤية الجديدة التي قدمتها كل من التداولية والعرفانية للاستعارة والسخرية؟ و ما هي الجوانب التي عالجتها النظريتان؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات هي:

- ما العلاقة التي جمعت مفهومي الاستعارة والسخرية وهما أداتان لغويتان مجردتان بأساس ذهني؟
- وكيف ارتبطت كل من الاستعارة والسخرية بالتداولية؟ وما علاقتهما بها؟
- وما علاقة علم الأعصاب بالاستعارة والسخرية؟
- وهل تمكنت النظريتان من تخليص الاستعارة والسخرية من الرؤية القديمة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نفترض الإجابات الآتية:

- المتتبع لكيفية إنتاج الاستعارة والسخرية يجد أن منبتهما الأولي الذهن ومن ثم التلفظ بهما ومن هذا المنطلق كان لزاما أن يرتبطا بالعمليات العقلية ويدرسا فيها، لتأخذ العرفانية على عاتقها عملية تحليلهما ومحاولة فهم آليات إنتاجهما واستيعابهما لدى كل من المرسل والمتلقي، مما استوجب نقلهما إلى المجال الذهني للوقوف على العمليات العقلية المعقدة التي تقف خلفهما.

– كل من الاستعارة والسخرية انتهاك للمعنى الحرفي وتجاوز له ولكي نفهم المعنى الضمني لكل منهما لابد أن نستعين بالتداولية ومبادئها فهي تعيننا على فك شفرة

العبارة وما وراءها من معنى خفي، لذلك كان لزاما أن يرتبطا بالتداولية لفهم وتفسير المقاصد الخفية التي تكون خلف عبارتهما الظاهرة.

- بما أن الاستعارة والسخرية أصبح ينظر إليهما من جانب ذهني، فكان من الضروري تحديد مكان معالجتهما في الدماغ وهذا يتطلب الاستناد إلى علم الأعصاب وأحدث دراسته ونتائجه.
- يمكن القول أن التداولية والعرفانية تمكنا من إخراج الاستعارة والسخرية من قفص الرؤية التقليدية الضيقة التي حصرتهما في مجرد زخرفات لغوية، فقد تمكنت النظريتان من إثبات أن الاستعارة والسخرية مجالان خصبان في الدراسات الحديثة فالتداولية أبانت دور السياق في فهمهما وكشفت عن مقاصد المتكلم، في حين أثبتت العرفانية تجذرهما في الدماغ فخلصوهما من الجانب اللغوي الذي حبسا فيه ولكن لا يمكن القول أنهم تمكنوا من التخلص من الرؤية القديمة نهائيًا فمازال عنصر المشابهة يلعب دورًا في فهم الاستعارة، و كذلك السخرية مازال فهمها مرتبط بفكرة التناقض بين القول وقصده، فالمحدثون وسعوا رؤية القدماء إلى الجوانب التداولية والعرفانية، فالذي يستشف أن النظرة التقليدية لم يتم إلغاؤها بل تم تطويرها وتوسيعها في إطار التداولية والعرفانية.

فكانت خطة بحثنا على النحو الآتي:

قسمنا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

فالفصل الأول وسم ب " **في مفهوم الاستعارة والسخرية**" تطرقنا فيه إلى الحديث عن ماهية اللسانيات العرفانية، بدءا بتحديد تعريفها وأسسها ونشأتها، ومن ثم أصلنا لنشأة الاستعارة فتناولناها عند البلاغين نذكر منهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وأبو هلال العسكري... لنخرج بخلاصة مفادها أن الاستعارة عندهم ضرب

من المجاز اللغوي، ومن ثم تعرضنا لها عند العرفانيين فسلطنا الضوء على أبرز أعلامها من بينهم جورج لايكوف (GEORGE LAKOOF) وجونسون (GONSHON) أصحاب فكرة الاستعارة التصورية في الفكر العرفاني فبينا رؤيتهما الجديدة للاستعارة، وتطرقنا إلى أنواع الاستعارة التصورية (الاستعارة البنيوية والأنطولوجية والاتجاهية)، ثم انتقلنا إلى دراسة نظرية المزج المفهومي التي وضعها كل من جيل فوكونيكي(GILLES FAUCANNIER) ومارك تورنر (MARK TURER) فبينا كيفية تحليلهما للاستعارة، بعد ذلك وضحنا الفرق بين النظرتين، ثم عرجنا إلى الحديث عن السخرية فعرفناها وذكرنا أساليبها وأسبابها، لنختم الفصل بمقارنة بين الاستعارة والسخرية.

وقد جاء الفصل الثاني موسوما" **قراءة في كتاب الاستعارة والسخرية**"، فقد خصصناه للدراسة التطبيقية وقسم إلى جزأين، حيث عني الجزء الأول بالدراسة الظاهرية للكتاب، من حيث العنوان والغلاف، وبطاقة فنية للكتاب أدرجت فيها معلومات الكتاب كاملة(عنوان الكتاب، حجمه، عدد الصفحات...)، كما قمنا بعرض محتواه وبيان قيمته العلمية.

أما الجزء الثاني فقد أفردناه لمعالجة القضايا الواردة في الكتاب، وقد تمكنا من الخروج بنتائج أوردناها في خاتمة البحث.

وقد اقتضى هذا الموضوع أن نتبع منهجين: منهج أول أساسي وهو المنهج الوصفي الذي ساعدنا على وصف تطور كل من الاستعارة والسخرية وتحليليهما ومنهج ثاني مساعد وهو المنهج المقارن الذي أعاننا على المقابلة بين النظريات ومكننا من إبراز الاختلافات بين النظرتين في كيفية معالجتهما للاستعارة والسخرية.

ومن الدراسات السابقة نذكر:

- الاستعارة من منظور اللسانيات التداولية دراسة في قصة الخمسة في معقل المهربين.
- الاستعارة في ديوان همس الكلمات لبشرى زروال من منظور اللسانيات العرفانية.
- أسلوب السخرية في قصص البخلاء للجاحظ.
- نزعة السخرية في شعر الحسين بن عتيق التغلبي قصيدة: لكلاب سبتة في النباح مدارك أنموذجا.

لتأتي دراستنا جامعة لهذه المفاهيم الأربعة (الاستعارة، السخرية، التداولية، العرفانية) في مقاربة تداولية عرفانية، لتقدم رؤية شاملة كاملة لكيفية تظافر هذه العناصر الأربعة لتحقيق فهم أعمق وأشمل لكل من الإستعارة والسخرية بالاعتماد على نظريتي التداولية والعرفانية.

وأما عن المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر منها:

- الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون.
- نظريات لسانيةعرفنية للأزهر الزناد.
- دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني لمحمد الصالح البوعمراني.
- الصناعتين لأبو هلال العسكري.
- نظرية الاستعارة العصبية ما بعد المزج المفهومي لعطية سليمان أحمد.

وأبرز ما اعترضنا في هذا البحث، قلة بعض المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع، ليس في البحث كله وإنما أخص بالذكر مصادر تتعلق بالسخرية في الدراسات الحديثة، فهذا المجال جديد ولم يحظ بعد بدراسات معمقة.

وأخيرا وليس آخرا وعرفانا مني، أتوجه بجزيل شكري وكبير عرفاني إلى الأستاذ المشرف على البحث البروفيسور عبدالحليم معزوز الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة، ونصائحه وتخصيص الكثير من وقته ليخرج البحث في حلته العلمية فقد وقف على كل مراحل هذا البحث، كما شجعنا على الخوض في الدراسات الحديثة وكان خير سند لنا، فجزاك الله عنا كل خير والشكر موصول كذلك إلى أعضاء المناقشة لتحملهم عناء قراءة البحث وتصحيحه وإثرائه، وكل من ساعدنا على إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول: في مفهوم الاستعارة والسخرية

الاستعارة والسخرية هما أداتان لغويتان شائعتان نشهدهما في حياتنا اليومية دون أن ندري أو نتدرب على استخدامهما، إذ تحدثان بشكل تلقائي، وكلاهما أداتان قويتان في اللغة يضيفان أبعادًا ومعاني جديدة في الكلام، وهما موضوع الدراسة في كثير من النظريات من بينها النظرية العرفانية التي اهتمت بدراستهما وتحليليهما.

1. اللسانيات العرفانية

1-1 تعريف اللسانيات العرفانية :

تمثل اللسانيات العرفانية تخصصا من تخصصات العلوم العرفنية الذي نشأ حديثا في الساحة العلمية، تهدف إلى فهم اللغة البشرية من خلال تحليل العمليات العقلية، حيث تركز على دراسة اللغة في إطار العمليات الذهنية مثل : الإدراك التفكير، والذاكرة، وتفاعلها مع الفلسفات والعلوم الأخرى.

يعد عطية سليمان اللسانيات العرفانية :" تيارا لسانيا حديث النشأة يقوم على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية والذهن والتجربة بما فيها الاجتماعي والمادي البيئي أي:العلاقة بين اللغة +الذهن+التجربة(الاجتماعية والمادية والبيئية) فإذا كانت النظرية التوليدية تقوم على أساس النحو الكوني، الذي ترى أنه مركوز في عضو ذهني من الدماغ مخصوص هو اللغة"[1].

من خلال هذا التعريف نستنتج أن اللسانيات العرفانية علم حديث يركز على دراسة العلاقة بين العناصر الثلاثة (اللغة، الذهن، التجربة)، وهذه التجارب تشمل التفاعلات الاجتماعية وتمتد إلى العالم المادي والبيئة التي نعيش فيها، واللسانيات

[1]- عطية سليمان احمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ(رمزية،عصبية،عرفانية،)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2019م، ص328

العرفانية لا ترى اللغة في عضو دماغي مخصص، بل هي جزء من القدرات العقلية العامة .

ووفقا للنظرية العرفانية يمكن توضيح العلاقة بين اللغة والعقل كالآتي "العقل صندوق يتم فيه كل الأنشطة الذهنية التي تقوم عليها العلوم العرفانية، ومن بينها علم اللسانيات العرفانية الذي يدرس العمليات العقلية المتصلة باللغة، كإحدى مكونات هذا الصندوق، فتتأثر اللغة بكل خصائص العقل، ونشاطه كسائر العلوم العرفانية لأنها جزء من هذا النظام العرفاني."[1]

وتعرف كذلك بأنها:"تيار لساني حديث، يرتبط بالدراسة النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام"[2].

وفي كتاب(نظريات لسانية عرفنية) للأزهر الزناد عرفت اللسانيات العرفانية أنها:"تسمية عامة تجري على تيار أو حركة تجمع عددا من النظريات تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها. "[3]

وعرفها لايكوف(lakoff) في قوله:" علم العرفانية حقل جديد يجمع بين ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس، واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية"[4].

---

[1]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، وكيل كلية التربية، جامعة السويس، ص64

[2]– عز الدين عماري، الربيع بوجلال، مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات العرفانية وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، مج3، عدد خاص2019، 2019، ص62

[3]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص241

[4]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية و النظرية العرفانية، ص 55

من خلال التعريفات السابقة، نستنتج أن اللسانيات العرفانية علم متعدد التخصصات تهدف إلى دراسة وفهم العقل البشري مركزة على العمليات الذهنية دراسة أساسها تظافر التخصصات المتنوعة مثل: علم النفس، علم الأعصاب اللسانيات، الأنثروبولوجيا، ومن ذلك فاللسانيات العرفانية ليست نظرية واحدة بل هي مجموعة من النظريات تبحث في الآليات التي يعمل بها الدماغ لتوليد المعرفة واللغة.

1-2/ نشأة اللسانيات العرفانية:

موضوع نشأة اللسانيات العرفانية مختلف فيه، حيث نجد آراء متعددة حول الأصول الأولى لهذا العلم :" فهناك من يرى أنها تعود إلى بدايات العلوم العقلانية لأرسطو وأفلاطون، لاهتمامها بدراسة العقل وعملياته...في حين يعتبرها البعض الآخر ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث كان ثمة اهتمام كبير بتفسير العمليات الإدراكية المتضمنة في الانتباه والذاكرة و تفسير تجربة الوعي الذي سيعود الاهتمام به مجددا في تسعينيات القرن العشرين."[1]

وجاء في كتاب الأزهر الزناد(نظريات لسانية عرفنية) أن اللسانيات العرفانية تأسست على نقض تيارات سابقة بهدف الابتعاد عن المناهج التقليدية وفي هذا السياق قال:" فقد نهضت اللسانيات العرفانية على نقض تيارات سابقة نقضا منهجيا بالأسس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنيوي والتوزيعي وعلى المنهج الشكلي بما في ذلك الأنحاء المركبية والتحويلية والمقولية الرياضية وعلى المنهج المنطقي القائم على شروط الصدق أو الشروط الضرورية والكافية.

[1]– آسيا عمار، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة، جامعة العربي التبسي– تبسة الجزائر، العدد45، ج2، ص 547

فقوام برنامج الأنحاء العرفنية على تناول اللغة من حيث طبيعتها ووظيفتها الأساسيتان فهي: نشاط عرفني في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفنية ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدلالية العرفنية ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفانية من قبيل الإدراك والتذاكر والتصوير والعمل والتجسدن وتمثيل البيئة والسياق وما إلى ذلك."[1]

قسم الزناد اللسانيات العرفانية إلى شقين في قوله:" واللسانيات العرفانية شقان أوروبي وأمريكي، تغلب على المؤلفات الإنجليزية متابعة الشق الأمريكي ويغلب على المؤلفات الأوروبية عامة والفرنسية خاصة في حدود ما اطلعنا عليه –الشق الأوروبي دون إهمال الشق الأمريكي حيث يجري التذكير ببوادر اللسانيات العرفانية في أوروبا عامة وفي أعمال غوستاف قيوم خاصة وممن سعى إلى بلورة تناول عرفني يواصل الآلية النفسية ويبلورها أو ينشئ تناولا آخر. ولكن يبدو أن الغلبة للسانيات الإنجليزية (الأمريكية والبريطانية) نوعا ما."[2]

وقسم الزناد الأنحاء العرفانية الأمريكية إلى قسمين :" يضم الأول منها كل النظريات أو المناويل الموسومة بالعرفية من جهة ويضم الثاني الأدنوية الشومسكية وهي تطور للنحو التوليدي فيه عود إلى مبادئ ثابتة فيها منذ البدايات (سنوات 1950) فالأطوار اللاحقة إلى حدود السنوات 1980 وانتهاء عند ظهور البرنامج الأدنوي(شومسكي1993 و1995) وذلك بالتقليص من الأجهزة الشكلية وعملياتها والتركيز على العمليات العرفانية فردية كانت في مستوى النحو المضمر أو كونية كانت في مستوى النحو الكلي ملكة من ملكات النوع البشري."[3]

---

[1]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص27–28

[2]– نفسه، ص28

[3]– نفسه، ص28

وبذلك نستطيع القول إن:" أغلب العرفانيين كانوا من أنصار النحو التوليدي في الفترة الكائنة بين الستينات والسبعينات، إلا أنهم عندما انتبهوا إلى أن الأسس التي قامت عليها هذه النظرية لا يمكن أن تنتهي بهم إلا إلى طريق مسدودة انشقوا ووسعوا إلى إحياء المشاغل النفسية والمعرفية والاعتبارات الذهنية التي كانت موجودة في الدراسات اللغوية قبل ظهور التيار البنيوي الذي همش الاعتبارات العرفانية وأقصاها عن مجال البحث في قضايا اللغة."[1]

من خلال ما سبق، يتضح لنا اختلاف الآراء في تحديد تاريخ نشأة اللسانيات العرفانية، فالبعض يرجع أصلها إلى زمن أرسطو وأفلاطون نظرا لاهتمامهما بدراسة العقل في ذلك الوقت، بينما يرجع آخرون بداية العرفانية إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بسبب التركيز الكبير على العمليات الإدراكية في تلك الفترة، وهناك من يرى أن العرفانية نشأت على نقض تيارات سابقة، فعلى الرغم من أنه علم واحد إلا أن الآراء اختلفت وتنوعت في تحديد الأصول الأولى لهذا العلم.

لئن تعددت الآراء والتواريخ حول البدايات الأولى للسانيات العرفانية، إلا أن الدراسات تعيد بدايتها إلى:" سنة1975 وهي السنة التي استخدم فيها لايكوف(LAKOFF) مصطلح اللسانيات العرفانية، للمرة الأولى ... وقد استهل تعاونه مع الفيلسوف مارك جونسون(MARK (JOHNSON) سنة1979، وألف كتابهما المشترك (الاستعارات التي نحيا بها) سنة 1980، وكان أول تأليف يلفت النظر إلى اللسانيات العرفانية... وكان شارل فيلمور (CHARLES FILLMRE) يشتغل حوالي سنة 1975 في نظريته حول الدلاليات الإطارية، وكان رولاند

[1]– عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفني، كلية الآداب والفنون الإنسانية بمنوبة، تونس، ط1 2010، ص31

لانغاكير(RONALD LANGACKER) قد أرسى أسس النحو الإدراكي... وابتداءً من 1980 بدأت اللسانيات العرفانية تزدهر مع أعمال كل من لايكوف(التصنيف الاستعاري)، وعلى خطاطات الصور(جونسون)، وعلى النحو الإدراكي(لانغاكير) وعلى الأحياز الذهنية والمزج (فوكونيي FAUCONNIE وتورنرTURNER) وخلال النصف الثاني من الثمنينات أضحت اللسانيات العرفانية منظمة على الصعيد الاجتماعي، وفي سنة 1989 نظم روني ديرفن المؤتمر الدولي الأول في اللسانيات العرفانية في دويسبورغ في ألمانيا، كما تأسست على هامش الملتقى الجمعية الدولية للسانيات العرفانية ومجلة اللسانيات المعرفية"[1]، تعتبر هذه الأعمال من الركائز الأساسية التي بُنى عليها مجال اللسانيات العرفانية.

وهكذا بدأت العلوم العرفانية في اكتساب طابعها التنظيمي والمؤسسي، والذي تجلى في إصدار مجلة العلوم العرفنية وتأسيس جمعية العلوم العرفانية.

1-3 أسس االلسانيات العرفانية (مبادئ):

اللسانيات العرفانية تعتمد على مبدأين أساسين يعتبران جوهر البحث العرفني، وقد وضحهما جورج لايكوف في قوله:" ومن المبادئ الموجهة للدرس اللساني العرفاني الالتزام بأمرين: الالتزام بالتعميم والالتزام العرفني."[2]

أ- **الالتزام بالتعميم:**" أن يستوعب الدرس اللساني العرفني جميع المظاهر في النشاط اللغوي، وليس لهذا المبدأ صلة مباشرة بالتعميم المعهود من سعي إلى إدراك

[1]- ينظر، بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، قطر، مج1، العدد1، 2017، ص272-273

[2]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص32

الخصائص الكلية، فمما ترفضه اللسانيات العرفانية تناول اللغة على أنها منظومات مستقل بعضها عن بعض (صوتي، صرفي، دلالي، معجمي، تداولي)."[1]

يشير هذا المبدأ إلى أن اللسانيات العرفانية ترفض التعامل مع اللغة كوحدات مستقلة فلا تدرس الصوت أو التركيب أو الدلالة (مستويات التحليل اللساني) كل منها على حدة، بل تشجع على تناول هذه الأنظمة ككيان مترابط ومتكامل لأن هذه الأنظمة تساهم في تشكيل اللغة.

ب- الالتزام االعرفني:" ويتمثل الالتزام العرفني في السعي إلى إقامة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفنية الثابتة في سائر العلوم العرفنية، ويندرج هذا الالتزام اندراجا طبيعيا في الالتزام السابق إذ لا يستقيم تعميم في شأن اللغة ما لم يستقم من زاوية عرفنية عامة، ولذلك وجب أن تراعى طبيعة العرفنية وخصائصها في إقامة النظرية اللسانية كل ما ليس ذا أرضية عرفنية."[2]

يعد هذا المبدأ أساسيا في اللسانيات العرفانية، يقوم على فكرة أن الحقائق اللغوية يجب أن تتوافق مع الحقائق المعرفية أي "الالتزام بتوفير توصيف للمبادئ العامة للغة التي تتفق مع ما هو معروف عن العقل والدماغ في التخصصات الأخرى"[3]، وهذا الالتزام يندرج تحت مبدأ التعميم ويرتبط به ارتباطًا وثيقًا مما يستلزم تلازمهما في أي درس لساني عرفني.

---

[1]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص33

[2]- نفسه، ص33

[3]- ففيان إيفانر وميلاني جرين، تر:عبده العزيز، طبيعة اللسانيات الإدراكية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد4، العدد 100، 2017،ص38

2- الاستعارة و السخرية:

2-1 الاستعارة :

موضوع الاستعارة من القضايا التي شغلت العلماء عبر العصور، فقد حظيت بمنزلة عالية في الدراسات البلاغية القديم منها والحديث، وعدت من الموضوعات الأساسية في البلاغة التي تستحق البحث والدراسة، مما أدى إلى تباين وجهات النظر حول الاستعارة، فبينما اعتبرها القدماء عنصرا لغويا ووسيلة لتجميل النصوص وإضفاء لمسة جمالية تطرب قارئها، نظرت الدراسات الحديثة إليها على أنها مسألة فكرية وعدّوها قطب التفكير اللساني البلاغي الحديث، فما مفهوم الاستعارة عند القدماء ؟ و ما هي النظرة الحديثة التي قدمها الباحثون المعاصرون؟

2-1-1 الاستعارة عند البلاغيين القدماء:

حظيت الاستعارة بمكانة مرموقة في الدراسات البلاغية منذ القدم، وذلك لارتباطها الوثيق باللغة العربية، خاصة القرآن الكريم، بالإضافة إلى قيمتها الجمالية والتعبيرية، مما دفع العديد من العلماء إلى دراسة الاستعارة والبحث فيها، وقد أدى هذا الاهتمام إلى تطور وتعدد تعريفاتها في كتب البلاغة.

عرفها القاضي عبد العزيز الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) بقوله: "وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار

منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر."[1]

وأورد أيضا عبد القاهر الجرجاني تعريفًا لها بقوله:" اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية."[2]

فالاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني هي عملية استخدام كلمة في غير معناها أي الخروج من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي بشرط وجود أدلة توضح هذا النقل، فالاستعارة عنده مجاز لغوي قائمة على النقل والادعاء.

وعرفها أبو الهلال العسكري بقوله:"نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه."[3]

فالجديد الذي أضافه أبو هلال العسكري على تعريف الاستعارة هو توضيح الغرض منها وهو الإبانة والتوضيح.

وحاول"السكاكي"أن يضبط مفهوم الاستعارة بقوله:"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به ."[4]

---

[1]– عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط1، 2006، ص45

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1988 ص22

[3]– أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تح:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ص 274

[4]–محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1983، ص 369

المتمعن في هذا التعريف يجد أن الاستعارة عند "السكاكي" هي تشبيه حذف أحد طرفيه.

فالذي يستشف من تعريفات الاستعارة أنها مصطلح واحد وقد اختلفت تعريفاتها بين العلماء تبعا لوجهات نظرهم المختلفة، إلا أن جميعهم يتفقون على أن الاستعارة عنصر لغوي(ضرب من المجاز اللغوي)، فحد الاستعارة عند البلاغيين القدماء تشبيه حذف أحد طرفيه.

يعلق"ريكور" (RAYKOR)على المفهوم التقليدي للاستعارة بقوله:"إن الدلالة المستبدل بها لا تمثل أي ابتكار دلالي. فنحن نستطيع أن نترجم الاستعارة، أي أن نسترد المعنى الحرفي الذي حلت محله الكلمة المجازية. والنتيجة فالاستبدال زائدًا التراجع يساوي صفرا. مادامت الاستعارة لا تمثل ابتكارا دلاليا، فإنها لا تنقل لنا أية معلومات جديدة عن الواقع . وهذا هو السبب في أنها يمكن أن تعد وظيفة من الوظائف الانفعالية للخطاب."[1]

وفقا "لريكور" فإن مفهوم الاستعارة التقليدية يقتصر على عملية الاستبدال اللفظي أي استبدال كلمة بأخرى، ومن هذا المنطلق لا تعتبر الاستعارة إبداعًا ولا ابتكارًا، لأنها لا تضيف إلى معارفنا شيئا جديدًا عن الواقع، فهي مجرد تعبير عن انفعالات المتكلم، لذلك يرى"ريكور" أن مفهوم الاستعارة التقليدية قاصر.

2-1-2- الاستعارة عند العرفانيين :

تعد دراسة الاستعارة من المنظور العرفاني من أبرز مكتسبات التيار اللساني الحديث فقد احتلت مكانة مرموقة في الدراسات الحديثة، فإذا كانت الاستعارة تعتبر

[1]- عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، مكتبة الآداب، القاهرة ط1، 2022، ص35

مسألة لغوية في النظريات التقليدية، فإنها في اللسانيات العرفانية اتخذت مسارًا جديدًا ونسقا آخر حيث نظرت الدراسات الحديثة إلى الاستعارة على أنها مسألة فكرية وتُدرس في حياتنا اليومية، فقد تمكن العرفانيون من تحرير الاستعارة من قيود اللغة التي كانت محصورة فيها، "فالاستعارة لم تعد لديهم ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية استبدال، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن، تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية."[1]

فالاستعارة لم تعد مسألة لغوية تتمثل في عملية استبدال كلمة بكلمة أخرى أو الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أو العدول من معنى حرفي إلى معنى حرفي آخر بهدف التزيين اللغوي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن تقوم على استغلال آلة الذهن في إدراك ما حولنا "فالاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس."[2]

ومن ذلك فالاستعارة ليست مجرد أسلوب في اللغة بل هي جزء أساسي من نظام التصور والتفكير لدى الإنسان، فنحن بطبيعتنا مفطورون على التفكير بشكل استعاري وهذه الاستعارات تتحكم في سلوكنا وأفكارنا اليومية.

---

[1]- محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار النهى، صفاقس، ط 1 2009، ص 123

[2]– جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبة، الاسكندرية ط1، 1996، ص 21

فموقع الاستعارة كما بين جورج لايكوف" ليس في اللغة على الإطلاق، وإنما في الكيفية التي نُمفهمconceptualize بها مجالا ذهنيا وفقا لمجال آخر."[1]

فالاستعارة عند العرفانيين هي عملية فهم مجال تصوري ما من خلال الاستعانة بمجال تصوري آخر مثل فهم مجال الحب عن طريق مجال الرحلة، فنحن نعبر بطرق مختلفة عن هذه الاستعارة التصورية.

وقد أثبت ريدي:" أن موقع الاستعارة الفكر وليس اللغة، وأن الاستعارة جزء رئيسي لا غنى عنه من طريقتنا الاعتيادية العُرفية لَمفهمة العالم conceptualingThe world، وأن سلوكنا اليومي يعكس فهمنا الاستعاري للخبرة."[2]

فالاستعارة ذات طبيعة تصورية فهي تتجاوز كونها مجرد مسألة لغوية، فقد أحدث كل من لايكوف(lakoff) وجونسون(johnson) ثورة في مفهوم الاستعارة، حيث اعتبراها جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية في كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها) فقد قدما رؤية جديدة للاستعارة من خلال هذا الكتاب، ودعما أفكارهما بانتقادات عديدة للاستعارة التقليدية التي تقتصر على الجانب اللغوي فقط من بينها:"[3]

- ارتباط الاستعارة بالخيال الشعري والزخرف البلاغي.
- تتعلق الاستعارة بالاستعمالات اللغوية غير العادية وليس بالاستعمالات العادية.
- اعتبار الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير والأنشطة وهذا أهم افتراض أثبته لايكوف، هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ، بل على عكس ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها

[1]– جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق النعمان، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2014، ص6

[2]– نفسه، ص9

[3] - ينظر، جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص21–23

وهذا ما نعنيه حين نقول أن النسق التصوري البشري مبنين ومحدد استعاريا فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل منا."

وتأسست هذه الرؤية عند العرفانيين عن طريق جملة من المبادئ تتمثل في :"[1]

1- الاستعارة ذات طبيعة تصورية، وما الاستعارة اللغوية إلا تجلٍ من تجلياتها.

2- إن نظامنا التصوري قائم في جزء كبير منه على أسس استعارية.

3- إن وظيفة الاستعارة هي تمكيننا من تمثيل أفضل المفاهيم المجردة.

4- المشابهة ليست قائمة على الأشياء بل في تفاعلنا معها.

5- الاستعارات التي نحيا بها هي نتاج تصوراتنا الثقافية، أي استعارات خارج هذه التصورات الثقافية التجريبية، قد تؤدي إلى تعطيل عملية الفهم والتواصل ."

وبذلك تخلصت الاستعارة من النظرة التقليدية لها فبعد أن كانت " في النظرية الكلاسيكية- عبارة لغوية جديدة أو شعرية يستعمل فيها لفظ واحد أو أكثر في معنى غير معناه المألوف للتعبير عن معنى شبيه به، فهي في -النظرية الحديثة- إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، وما العبارة الاستعارية إلا تحقق سطحي لتلك العمليات التي يجري بها الإسقاط المفهومي في الذهن."[2]

ومن ذلك تسقط فكرة أن الاستعارة ظاهرة لغوية، وتسقط الفرضية القائمة على أن الوصول إلى المعنى المجازي الاستعاري يكون بالانطلاق من المعنى

[1] - عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص60

[2]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 143

الحرفي، لتحل محلها فكرة أن الاستعارة مسألة فكرية كامنة في الذهن أي أنها بنية تصورية يقوم بصنعها وإبداعها الدماغ.

فالاستعارة عند العرفانيين "تبدأ بعملية تصورية عقلية، ثم عملية لغوية يتم فيها النطق بهذه الاستعارة، أي خروجها في قالب لغوي ...النظرية العرفانية تقوم على دراسة عمل العقل (الذهن) في بناء الصورة الاستعارية ليتم إنتاجها."[1]

أي أن العرفانية تعنى بدراسة كيفية عمل العقل في فهم وإنتاج الاستعارة، أي كيفية صنع استعارة في الدماغ فالعملية تبدأ بعملية تصور ومن ثم الإنتاج اللغوي للاستعارة (إنتاج عبارة استعارية).

قامت الاستعارة في الفكر العرفاني على نظريتين أساسيتين: النظرية التصورية ونظرية المزج المفهومي، ونظرا لارتباط النظرية التصورية بنظرية المزج المفهومي سنبدأ حديثنا عنها.

2-1-2-1 الاستعارة التصورية:

الاستعارة التصورية هي إحدى النظريات العرفانية التي ظهرت مع كل من جورج لايكوف(georgelakoff) ومارك جونسن(mark johnson) في كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها)، فقد قدما رؤية جديدة للاستعارة في ظل العرفانية مخالفين بذلك المنظور التقليدي المعروف، وتوصلا إلى أن الاستعارة موجودة في كل مجالات حياتنا اليومية وليست مقتصرة على الأدب فقط، وهو ما أكده الباحثان في

[1]– عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، مكتبة الآداب، القاهرة ط1، 2023، ص28

قولهما:" فقد انتبهنا إلى أن الاستعارة موجودة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة ، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا."[1]

فهي مبثوثة في كل المجالات اليومية باعتبارها " هندسة في كل تعبيراتنا الثقافية والعلامية تحكم تفكيرنا وضروب سلوكنا ونشاطاتنا، إننا نعيش في عالم مليء بالاستعارات، فأينما وليت وجهك تجد تجلياتها في اللباس وفي العلامة التجارية ...وغيرها."[2]

ويمكن القول إنَ الاستعارة التصورية هي:" تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعددة روافدها في إطار اللسانيات العرفانية... ولهذه النظرية مبررات عامة تتصل بطبيعة الفكر عامَة وبالاستعارة و المجاز خاصَة. فالفكرة الكلاسيكية ترى أنَ العقل يقوم على الحقيقة(المعنى الحرفي) ومجاله القضايا التي تقبل الصدق والكذب بصفة موضوعية. ولكن الفكرة الجديدة تأخذ مظهر التخييل(المجاز) في العقل (الاستعارة والمجاز المرسل والتصوير الذهني) باعتباره مكونًا مركزيًا من مكوَنات العقل لا مكونا زائدا ينضاف إلى الحقيقة."[3]

ومن ذلك يتبن لنا أن الاستعارة التصورية تجمُع مجموعة من الأفكار والمبادئ المستمدة من اللسانيات العرفانية، تقوم على فكرة التخييل في العقل أي أن الاستعارات والمجازات جزأ لا يتجزأ من العمليات الذهنية باعتبارها مكونات أساسية للعقل وليست مجرد إضافات لغوية، فهي تنظم الفكر في جميع مظاهره باعتبارها جزءا منه، فالاستعارة مبثوثة في كل المجالات اليومية وفي كل الكلام العادي.

---

[1]- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص21

[2]– عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة–مصر، 2014، ص 136

[3]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص142

وسميت الاستعارة التصورية بهذا الاسم لأنها" أداة مفهمة وتمثيل وتصوَر يعم كل مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتصلة بالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والأحداث والتَغَير والجعل وما إليها."[1]

وتعرف الاستعارة التصورية في التصور العرفاني:"وسيلة لتصور شيء من خلال شيء آخر، ووظيفتها الأولى الفهم."[2]

يعرفها زولتان كوفكيس(kovecseszoltan) بقوله:" إذا فهمنا مجالا تصوريا conseptualdomain من خلال مجال تصوري آخر، فنحن نكون إزاء استعارة تصورية، وهذا الفهم يكتمل بالنظر في مجموعة التطابقات الآلية correspendancessystematic أو الإسقاطات mappings بين هاذين المجالين."[3]

فالاستعارة في أبسط تعريف لها أن نفهم مجال تصوري من خلال مجال تصوري آخر، من خلال الإسقاط المفهومي الذي يتوسط المجالين، أي "أنها بنية تصورية يصنعها المتكلم في فضائه الذهني ليرى الأشياء ويفسرها ويستحضرها من خلال أشياء أخرى، إنها فهم مجال من خلال مجال آخر."[4]

ومن ذلك يمكن تعريف الاستعارة التصورية بأنها:" عملية فهم لميدان تصوري ما(conceptualdomain) عن طريق ميدان تصوري آخر، حيث يمكن إيجازها كالتالي: الميدان التصوري(أ) والميدان التصوري (ب). وذلك مثل فهم الحياة

---

[1]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص142–143

[2]–عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، ص267

[3]-جعفري عواطف، لحمادي فطومة، الاستعارة والنظرية العرفانية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي تبسة، الجزائر،مج 11، ع 1، 2018، ص571

[4]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ص180

عن طريق الرحلة و الجدال عن طريق الحرب، والحب عن طريق النار. حيث يُسمى الميدان الأول ميدانا هدفا(targetdomain) والميدان الثاني ميدانا مصدرا (source domain)."[1]

ومن ذلك فالاستعارة بهذا المفهوم تستدعي مجالين تصوريين: مجال تصوري (أ) ومجال تصوري(ب) ومن ثم يتم الإسقاط المفهومي بين المجالين، فيتم إسقاط المجال التصوري(أ) على المجال التصوري(ب) من خلال جملة من التناسبات ولعل أحسن مثال عيني متداول في حياتنا اليومية قولنا: الحياة رحلة فتقوم العبارة على تصور مجال (الحياة) المجال الهدف في ضوء مجال (الرحلة) المجال المصدر وقوام الاستعارة هو الإسقاط المفهومي الذي هو جملة التناسبات التي تكون بين المجالين.

و الجدول الآتي يوضح ذلك:[2]

الرحلة	الحياة
نقطة الانطلاق	الميلاد في الحياة
المحطات في المكان	المحطات في العمر
خط الرحلة في المكان	مدة الحياة بأطوارها
مصاعب الطريق في الرحلة	مشاكل الحياة وعقباتها
نقطة الوصول أو نهاية الرحلة	الموت

[1]– محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفانية، ص124–125

[2]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص144

وكذلك مثال (الجدال حرب) و(الحب نار) وغيرها من الأمثلة التي تكون مبثوثة ومنتشرة في حياتنا اليومية، والتي يحدث فيها الربط بين مجالين مختلفين أي حدوث عملية تجسيد للأفكار الموجودة في الذهن، وهذا النوع من الاستعارات هو الذي عنيت الاستعارة التصورية بدراسته والبحث فيه. ومن ذلك نستنتج أن الاستعارة تحدث وفقا للنظرية التصورية من خلال عملية الإسقاط المفهومي الذي يسميه جورج لايكوف ب:" إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر على المعارف المرتبطة بالمجال الهدف، فالاستعارة تقوم من حيث بنيتها على الإسقاط مابين المجالات، وهو إسقاط جزئي ويقوم مابين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف، وهو جملة من التناسبات الثابتة مابين الوحدات في المجال والمصدر والوحدات والهدف."[1]

وقسم كل من جورج لايكوف(georgelakoff) وجونسون (JONSHON) هذه الاستعارة في الفكر العرفاني إلى ثلاث أقسام بناء على تصورهما القائم على البنية التصورية للاستعارة أي كيف نبني تصور ما في الذهن حول الاستعارات الموجودة في حياتنا اليومية، فنحن "نقوم بتجزئة الصورة التي نريد نقلها إلى أنساقنا التصورية ومن ثم نقابلها بما يشبهها في نسقنا التصوري وأخيرا تأتي مرحلة المقابلة في التعايش مع الحدث والانفعال به كأنه حقيقة وليس خيالا"[2]، وانطلاقا من ذلك قسمت إلى ثلاث أنماط:

- استعارات بنيوية
- استعارات أنطولوجية
- استعارات اتجاهية

[1]-صالح غليوس، معجم مصطلحات لسانية العرفنية، نور للنشر، تاريخ النشر 2024، مادة[أ]، ص20

[2]-عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، وكيل كلية التربية، السويس، ص42

2-1-2-1-1 الاستعارة البنيوية:

نوع من الاستعارات العرفنية " تتم فيها بنينة تصور ما استعاريا، عن طريق تصور آخر."[1] أي أنها تقوم على بنينة تصور ما بالاعتماد على مفهوم آخر فهي تقوم على تحليل بنية الشيء فنبني ونركب استعارة من استعارة، ومثال ذلك قولنا (الجدال حرب) يتعلق بنمطين مختلفين الجدال(خطاب لغوي) والحرب (صراع مسلح) فنحن أدركنا مفهوم الجدال من خلال التصور الحربي الموجود بأنساقنا التصورية فالحرب فيها ربح وخسارة وتخطيط، وكذلك الجدال الكلامي بين طرفين فكلاهما يستعمل أدلة وبراهين ليدحض موقف الآخر ويهزمه وقد يكون فيه فوز وخسارة، وقد تضطر إلى تغيير استراتجيتك أو خطتك للفوز بالجدال، فالصورة التي بنيناها في أذهاننا عن الجدال هي"صورة منتزعة من الصورة الذهنية، أي الصورة الموجودة بأنساقنا التصورية عن المعركة، فهي صورة مبنية ومركبة للجدال بحيثياته في مقابل صورة مركبة عن الحرب بحيثياتها، فنحضر من الذاكرة كل أجزاء الصورة الثانية لفهم الصورة الأولى، مما يستتبع استدعاء كل خصائص صورة الحرب، لذا نحن نعيش في هذه اللحظة في جو المعركة لا الجدال الكلامي... ويمكن تصورها كالآتي:

صورة حرب بالذاكرة + الجدال وشدته >> الذهن/ الدماغ >> جدال شديد وحرب وقتال فعلي."[2]

تستخدم هذه الاستعارة في بنينة النسق التصوري لفهم مجالات جديدة من خلال مجالات مبنية مسبقا في الذهن فتتفاعل عقولنا مع الحدث وتتعايش معه بكل حيثياته.

---

[1]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص42

[2]-عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ص188

2- 1-2-1-2 الاستعارة الأنطولوجية:

تقوم هذه الاستعارة على:" استعارة شيء عام ومطلق مفهوم لدينا من خلال تجاربنا معه، لفهم شيء آخر لم نره من قبل، وربما كان شيئا معنويًا، نحاول أن نجسده من خلال هذه الاستعارة، لذا هذا التصور يعد نوعًا من الميتافيزيقا، إنها عملية تصور عقلي /ذهني، يقوم بها الدماغ ليفهم غير المنظور من خلال المنظور وتتحول هذه الأشياء غير المنظورة إلى ذوات لها كيانات ووجود مادي نتعامل معها على أنها مواد فيزيائية مادية، فنجادلها ونحاربها كأنها حقيقة مادية ملموسة."[1]

بمعنى أن هذه الاستعارة تقوم على عملية فهم غير المنظور من خلال المنظور، أي أننا نستعير المنظور(كل ما نراه في الطبيعة) لفهم ما لم نره من قبل ككلمة (تضخم) مثلا فهي تشير إلى عملية نمو الشيء شيئًا فشيئًا، رأيناه وعرفنا خصائصه عن طريق تجاربنا معه، ثم تتحول هذه الكلمة من الدلالة على شيء مادي نكاد نلمسه إلى الدلالة على شيء معنوي كالتضخم الاقتصادي، "فننتج استعارات من خلال هذا التصور نحو:

- إن التضخم يخفض مستوى عيشنا.

- يجب محاربة التضخم.

ويمكن تمثيل تصور النظرية العرفانية لهذه الاستعارة من هذا الشكل:

تصور التضخم كيانا(إنسان) > الذهن/ الدماغ > إنسان > يقوم برفع الأسعار، يجب محاربته."[2]

---

[1]- عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ص 188

[2]- نفسه، ص188

تقوم هذه الاستعارة على تصور التضخم أنه إنسان بإمكانه رفع الأسعار وخفضها والتحكم فيها ويجب أن يحارب والقضاء عليه، شكلنا هذه الصورة عن التضخم من خلال الصورة المرسخة في أذهاننا عن مفهوم التضخم من خلال تجاربنا الفيزيائية معه.

*** قيمة الاستعارة الأنطولوجية:**

تكمن قيمة هذه الاستعارة في:"

1- التجسيد: أي تجسيدها الواقع غير المنظور من خلال خصائص واقع منظور والتفاعل معه على أنه كيان موجود، فيبدو متجسدا، ليسهل التعامل والتفاعل معه.

2- الفهم: وذلك باستخدام الواقع الملموس في إدراك وفهم الواقع غير الملموس فيفتح ذلك بابا أكبر للفهم والإدراك.

3- الخيال: يضيع الخيال في هذه العملية، لماذا؟ لأن التصور الجديد قد يرسخ في الذهن؛ حتى يبدو كأنه الواقع، فينسى الواقعُ الخيالَ الذي قامت عليه هذه الاستعارة."[1]

2-1-2-1-3 الاستعارة الاتجاهية:

عملية" يتم فيها تنظيم نسق كامل من التصورات، باعتماد نسق آخر وتسمية هذه الاستعارات بالاتجاهية ناتج عن كون أغلبها يتعلق بالاتجاه الفضائي(فوق/ تحت داخل /خارج، أمام / وراء)."[2]

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص47

[2]- نفسه، ص50

بمعنى أن هذه الاستعارة تقوم على استعارة الاتجاه فتعطي التصورات اتجاهات فضائية، فتجعل الأشياء ذات القيمة أو الجيدة إلى أعلى والسيئة إلى أسفل كتصورنا السعادة فوق والحزن تحت، فقولنا :إنني في القمة، أي إنني سعيد ليس من محض الصدفة بل هي" استعارات لها مرتكزاتها في تجاربنا الفيزيائية والثقافية نتيجة تجاربنا السابقة معها، فتخلق علاقات بين الأشياء المادية المدركة بالحواس والخبرات وبين الأشياء المعنوية التي عرفناها ونقلناها إلى تصورنا الذهني، بناء على تجاربنا السابقة معها...ويمكن تصور هذه العبارة كالآتي:

أنا+ القمة (مكان مرتفع)>> ثقافة متجذرة في الذهن حول العلو>>أنا سعيد".[1]

ومن ذلك لا يمكن تصور عبارة إني في القمة أنها تدل أني حزين.

2-1-2-2 نظرية المزج المفهومي:

تعود أصول هذه النظرية إلى كل من جيل فوكوناي(GILL FUKUNAI) الفرنسي والأمريكي مارك تورنر(MARK TURNER) يطلق عليها عدة تسميات منها المزج، المزج المفهومي، الإدماج المفهومي، وهذه النظرية بحسب تورنر(TOURNER) " تتم في الذهن أي: الدماغ يحدث فيها إنشاء شيء ما من لا شيء."[2]

تقوم على:" تفسير اشتغال الذهن البشري، فنظام تفكيرنا قائم على بناء الأفضية الذهنية والربط بينها، وهي آلية عرفانية تحكم تفكير الإنسان وتميزه. والتفكير ذاته هو

[1]- عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ص189

[2]- نفسه، ص58

دمج بين فضاءات ذهنية مختلفة ونحن في شتى ضروب تفكيرنا حتى البسيطة منها، نقوم بالدمج بين الفضاءات الذهنية."[1]

ومن ذلك فأساس هذه النظرية الفضاء الذهني وهو:" تلك البنية التمثيلية التي يبنيها الأشخاص أثناء الحديث أو التفكير عن المدركات والمتخيلات وعن جميع الأوضاع الماضية أو المعيشية أو الآتية. تُنشئ ملكة المزج المفهومي مفاهيم وصورا تتحول إلى أشياء متجذرة في البنية المفهومية عند البشر."[2]

ويذهب تورنر إلى أن نظرية المزج المفهومي :" ملكة يختص بها بنو البشر تمكنهم من بناء المعنى في شكل شبكات من التمازج المفهومي يكون فيها خلق لمعان جديد ومفاهيم جديدة ومناويل ذهنية جديدة"[3].

فالإنسان بطبيعته مفطور على عمليات المزج ليكون مفاهيم جيدة، فالمزج ملكة عرفانية بمعنى أنها:"جملة عمليات طبيعية يقوم عليها اشتغال الذهن في جميع مظاهره بصورة طبيعية آلية."[4]

ظهرت هذه النظرية لعلاج قصور الاستعارة التصورية التي تقوم على الجمع بين مجالين تصوريين بغرض فهم المجال الثاني عن طريق الأول، ومن هنا طرحت إشكالية كيف يمكن الجمع بين مجالين تصورين ليس من أجل فهم الثاني من خلال الأول، وإنما لإنتاج معنى ثالث لم يذكر بل استنتج من خلال الجمع بين مجالين مختلفين، وهنا ظهرت الحاجة إلى تفسير كيفية صنع معنى ثالث، ومن ذلك انبثق سؤال كيف تخلق المعاني الجديدة في الدماغ؟

---

[1]– جعفري عواطف، لحمادي فطومة، الاستعارة والنظرية العرفانية، ص574

[2]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص224

[3]– نفسه، ص223

[4]– عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني، ص144

وفي هذا السياق يطرح الأزهر الزناد سؤالا "هو إذا كان عمل الاستعارة المفهومية كما يرى جورج لايكوف(LAKOFF GEORGE)؛ هو فهم مجال من خلال مجال آخر؛ فكيف نفهم دور العقل وعمله في الجمع بين شيئين لإنتاج شيء ثالث، لم يذكر في النص إلى جانب الشيئين الآخرين؟"[1]

فالجواب يكمن في كيفية اشتغال عملية المزج المفهومي داخل الذهن باعتبار المزج" محاولة لتفسير قدرة البشر على التجديد السريع وتكمن أصول الطاقة الخلاقة عند البشر في الدمج المفهومي عبر شبكات المعنى، يقصد بشبكات المعنى التواصل والترابط الذهني الذي بين المعاني المختلفة والتحامها معا لخلق معنى ثالث."[2]

ومن ذلك فعملية المزج تقوم على الجمع بين مجالين مختلفين لإنتاج معنى ثالث كقولنا: طبيب جزار.

في العبارة السابقة لم نصف الطبيب بالفشل، وإنما من خلال الجمع بين شيئين من مجالين ونسقين مختلفين (الطبيب) الذي هو عالم الطب و(الجزار) الذي هو من عالم الذبح والسلخ، أنتجنا معنى ثالث وهو الفشل، فهذه العبارة جمعت بين مجالين متباعدين هما الجزارة والطب و لا يمكن تفسير هذه الاستعارة بالاعتماد على مبدأ الإسقاط المفهومي، فالمعنى الذي استنتجناه كان نتيجة المزج القائم على الإسقاط متعدد الأفضية، فهذه فكرة النظرية باختصار.

وبناء على ذلك يمكن القول إنَ نظرية المزج المفهومي تقوم على المزج بين الفضاءات الذهنية المختلفة والذي يقوم بهذا المزج هو:" المخ وتشابكاته لإنتاج معنى

[1]– عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني ، ص144

[2]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ص 59

ثالث جديد، يقوم على استدعاء ما في ذاكرة الفرد من المعاني المخزنة فيها لإقامة معنى ثالث جديد، من خلال الجمع بين معنى الكلمتين ونسقيهما المعرفي."[1]

والمزج "عملية يتطابق بمقتضاها الفضاءان الدخلان جزئيا وينعكس قسم من عناصر كل منهما عن طريق الانتقاء في فضاء رابع، وهو الفضاء المزيج. والفضاء المزيج فضاء تتوالف فيه مكونات مختلفة من الفضاءين فينشأ فيه عن طريق الاستدلال معان جديدة ما من أثر لها في الفضاءين الداخلين."[2]

ويقوم هذا المزج على ثلاثة عناصر أساسية هي : التركيب والإكمال، البلورة وتوضيحها فيما يلي:"

1- عملية التركيب: تحدث بإسقاط مضامين كل من الفضاءين الدخلين رأسا في الفضاء المزيج، وذلك بأن تنشأ علاقات جديدة لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين منفصلين.

2-**عملية الإكمال** :يقوم الإكمال على إكساء المعاني والتصورات الناشئة جملة من الأبعاد تستمد من المعارف العامة المشتركة ومن التجربة الجماعية المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى... والإكمال في العموم أنشأ لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاء المزيج.

3- **عملية البلورة:** تمثل تطويرا للمزيج من حيث تصوره وتخيله بتوسيع مداه وتفضيله، أبعاده وتحميله بدلالات مخصوصة رمزية كانت أو غير رمزية"[3].

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ص58

[2]- عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني، ص147

[3]- نفسه، ص 147

أما بالنسبة للأفضية الذهنية فهي أربعة فضاءات:" فضاءان دخلان وفضاء جامع وفضاء المزيج، كل واحد من الفضاءين يمثل مصدرا للإسقاط، يمتزجان بمقتضاه في الفضاء المزيج، ويترابط الفضاءان في الفضاء الجامع، وهو إطار خطاطي يجمع العناصر المشتركة بينهما. "[1]

والشكل الآتي يوضح ذلك:"[2]

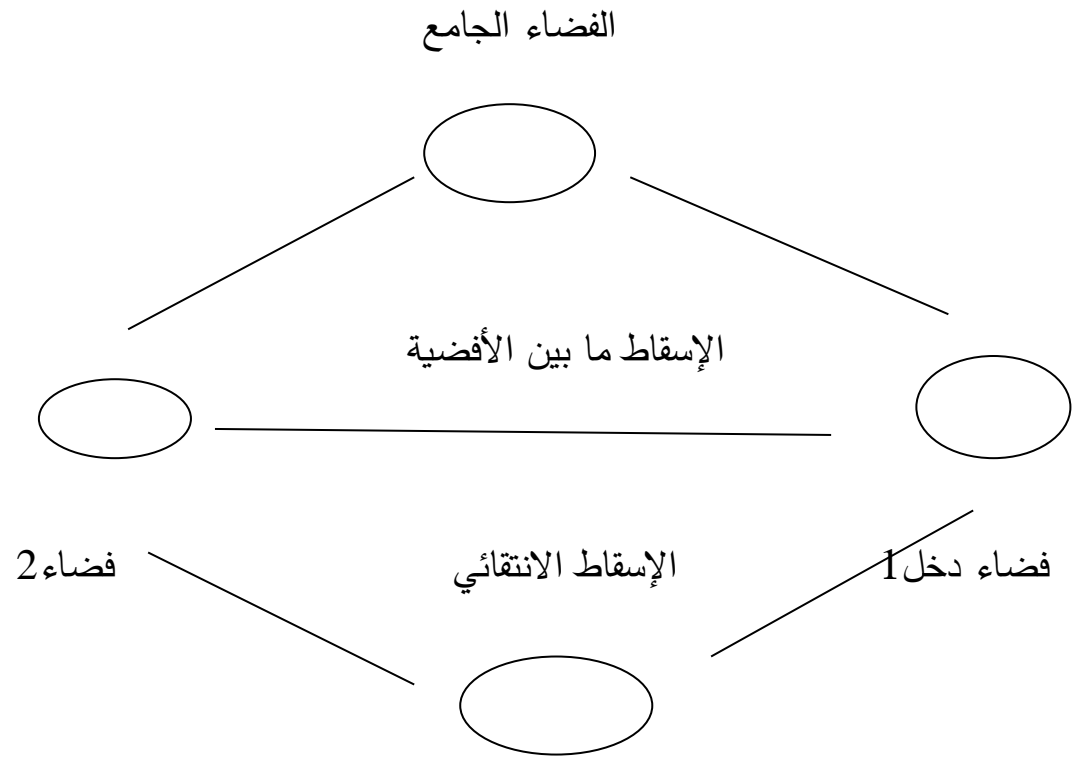

الشكل1: رسم يوضح الأفضية الذهنية

[1]– عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني، ص147

[2]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص230

2-1-2-3 الفرق بين الاستعارة التصورية واستعارة المزج المفهومي:

الاستعارة التصورية	استعارة المزج المفهومي
تكون المعلومات في نظرية التصورية متجذرة في الدماغ، أي مخزنة في ذهن المتلقي من قبل.	تكون المعلومة في نظرية المزج المفهومي نتاج تفاعل بين مجالين مختلفين لإنتاج معنى ثالث يدركه السامع.
تعتمد الاستعارة التصورية في تحليليها للاستعارة على ترابطات بين بنيتين تصوريتين فقط	تعتمد نظرية المزج المفهومي في تحليليها على نموذج الفضاءات الأربع.

2-2 السخرية:

السخرية ليست موضوعا جديدا، بل هي فن أدبي عريق تعود جذورها إلى العصور القديمة، عرفت على أنها فهم شيء يعاكس ما قد قيل في الواقع، أي أن المتكلم يتلفظ بعبارات تحمل عكس معناها الحقيقي، فقد تكون :" ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب، أو استنكارا لما يقع، أو هزءا وتندرا بالخصم."[1]

فكثيرا ما نسمع الناس يتلفظون بعبارات إيجابية ولكنهم في الحقيقة يقصدون بها ذما أو استهزاء كقولنا : شكرا لتعاونك، فقد يقولها أحد منا للآخر للتعبير عن لومنا له لعدم مساعدته، فالعبارة في ظاهرها تحمل معنى إيجابيا ولكن المقصود العكس تماما وهذا ما يعرف بالسخرية فالمتكلم يتلفظ:" بألفاظ لا تتلاءم مع السياق

[1]- عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، دار الجماهرية، طرابلس، ط1، 1988، ص64

الذي قيلت فيه ولا تتناسب معه، لكنها في الوقت نفسه ألفاظ تربطها بالسياق صلة وعلاقة."[1]

ففي المثال السابق ذكرنا ألفاظ لا تتناسب مع السياق، فالألفاظ التي ذكرناها تدل على الشكر والامتنان بينما السياق لا يدل على ذلك أبدا، وهنا يحاول المتلقي فهم الكلام وإيجاد تحليل له يقول أتاردو:" إن المتلقي عندما يتلقى الألفاظ من المتكلم يعلم أن المتكلم لا يقصد هذا المعنى، والمتكلم كذلك يعلم أن المتلقي يعلم ذلك، ومن ثم يعتمد المتكلم على أن المتلقي لن يكتفي بالمعنى الحرفي للألفاظ، وإنما سيبحث عن معان أخرى تم التلميح بها وهي أكثر تناسبا."[2]

ومن ذلك يمكن تعريف السخرية بأنها:" طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل كقولك للبخيل ما أكرمك... أو هي التعبير عن تحسر الشخص على نفسه كقول البائس: ما أسعدني."[3]

فالسخرية هي التعبير عن شيء آخر غير ما ذهب إليه القول ومن ذلك يمكن القول أنها تجمع بين الحقيقة والمجاز، فقد اعتبرها كينتيليان:" نوعا من المجاز، يفهم فيها المتلقي عكس ما تقوله الكلمات وذلك راجع إلى النبرة التي تلفظنا بها الكلمات أو إلى طبيعة الموضوع أو السياق الذي قيلت فيه ."[4]

---

[1]– مشاري عبد العزيز الموسى، أسلوب السخرية نظرياته وإشكاليته، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر –بسكرة، الجزائر، مج13، العدد2، ص 211–212

[2]- مشاري عبد العزيز الموسى، أسلوب السخرية نظرياته وإشكاليته، ص 212

[3]– مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة –لبنان، بيروت، ط2 1984، ص 198

[4]– ينظر أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس، الدار البيضاء، ط1 2011، ص26

فالذي يستشف من التعريفات السابقة أن السخرية هي الكلام الذي يقصد المتكلم عكس ما يقوله تماما، فالسخرية لم تعد أداة ثانوية في البلاغة فقد تجاوزت مفهومها التقليدي لتصبح اليوم جزأ لا يتجزأ من البلاغة العربية فقد فرضت أهميتها كعنصر أساسي إلى جانب الصور البلاغية كالاستعارة وغيرها.

2-2-1 أساليب السخرية:

تتعدد أساليب السخرية وتتنوع وفيما يلي إيجاز لأهمها:

1- السخرية بالمحاكاة: تعتبر من أشهر الأساليب وأكثرها انتشارا، تكون في:"الكلام والمشي والحركات الجسمية وأنواع السلوك المختلفة، أي في السمات البارزة التي تميز شخصية ما... كما فعل حافظ إبراهيم معرضا شوقي في قصيدته المشهورة (عن أي ثغر تبتسم)."[1]

2-المناداة بالألقاب: أي مناداة الشخص بعكس ما يتصف به لغرض السخرية منه و"هي من أقدم الصور السهلة الساذجة وتستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب كقولهم: للسمين: يا فيل، ثم استعمال هذا اللقب فيما بعد اسما يطلق على هذه الشخصية وتعرف به، وكذلك استعمال الصفات المعكوسة وهي عكس ما يتصف به الشخص حقيقة... كاستعمال (مدموزال) للعجوز الطاعنة في السن ... وقولنا (للص) الأمين."[2]

3-السخرية بالصوت: وهي الأكثر شيوعا حيث " يقوم فيها الساخر برفع صوته أو خفضه وإعطائه نبرات خاصة يفهمها السامع غالبا ...وقد يكفي للسخرية من شخص

[1]- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية، الأزهر، ط1، 1979، ص37

[2]- نفسه، ص37-38

أن تنظر إليه صامتا ثم تأخذ في إدامة النظر إليه، وأنت تبتسم ابتسامة السخرية أو تضحك ضحكة السخرية."[1]

4- معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم: ويطلق عليه أيضا في الأدب العربي "(الذم بما يشبه المدح)...ونضرب مثلا على ذلك بمخاطبة عالم يستهزئ بجاهل قائلا:قل لي يا سيدي الأستاذ، أو أخبرني أيها العالم الجليل، أو مخاطبة القبيح قائلا:القمر يغار منك "[2].

5- معالجة الشيء العظيم كأنه حقير: أي أننا ننقص من قيمة الأشياء ونحتقرها "ويمكن أن يكون طريقة الاستهزاء، كما شبه ويتلر أماكن العبادة المسيحية ساخرا بمصرف يذهب إليه الناس ليدفعوا شيئا ويأخذوا شيئا"[3].

2-2-2- أسباب السخرية:

- نقد الناس في قالب مضحك أو السخرية منهم لغرض التهكم أو الاستهزاء.
- استخدامها كوسيلة للحفاظ على المجتمع من خلال الكشف عن عيوبه بطريقة ساخرة.
- قد تكون بسب عداوة بغرض الانتقام.
- قد تكون بغرض الترفية عن النفس وطرد الطاقات السلبية.
- نزع رذيلة من الرذائل بأسلوب ساخر.

[1]- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي ، ص38

[2]- نفسه، ص38-39

[3]- نفسه، ص39

2-2-3 الفرق بين الاستعارة والسخرية:

إذا كان كل من السخرية والاستعارة كلام يتلفظ به المتكلم ويقصد به غيره فأين يكمن الفرق بينهما؟

الجواب يكمن في أن المستمع في الاستعارة يقوم:" بتنشيط آليات المشابهة لكي يفهم أن المتكلم لم يعن أن (زيد أسد) وإنما أراد أن يقول (إنه شجاع). بينما في السخرية يدرك المستمع أن معنى الجملة الآتية: (يا لك من مجتهد) لا يتلاءم مع واقع شخص رسب في الامتحان، بل لا ينسجم أحيانا مع النبرة الصوتية التي سيق بها الكلام، ومن ثم فإنه يقوم بعكس المعنى الحرفي للجملة حتى يتوافق مع المقام ودلالة الحال والموقف."[1]

فعندما يسمع المتلقي عبارة (زيد شجاع) يعلم أن المتكلم من المستحيل أن يكون قصده زيد حيوان(أسد)، فيبدأ في البحث عن الصفات المشتركة بين زيد والأسد كالقوة، والشجاعة... ويربط بينهما بناء على المشابهة بينهما، بينما في قولنا (يا لك من مجتهد) لشخص رسب يفهمها السامع أنها سخرية لأن كلامنا لا يتناسب لا مع الواقع ولا مع السياق وتعزز هذه السخرية بنبرة الصوت الساخرة، فالفرق الجوهري بينهما يكمن في أن المستمع في الاستعارة يعتمد في الفهم على إيجاد المشابهة بين عنصرين، بينما في السخرية يعتمد على التناقض بين ظاهر العبارة وسياقها فيقلب المعنى الحرفي إلى ضده.

[1]- عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون ص218

الفصل الثاني: قراءة في كتاب الاستعارة والسخرية

توطئة:

كثيرا ما نتلفظ في حياتنا اليومية بعبارات مجازية تحتاج إلى تأويل وتفكير لفهم القصد منها، وللكشف عن سبر أغوار هذه العبارات المجازية جمع بين عنصري الاستعارة والسخرية في إطار جديد يجمع بين التداولية والعرفانية، باعتبار الاستعارة نوعا من أنواع المجاز والخروج عن المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي للعبارة من أجل الإشارة إلى شيء مختلف عن معناه الحرفي، وبالمقابل نجد السخرية التي هي كلام يقصد به المتكلم عكس ما يقوله أي أن المتكلم يستخدم كلمات حقيقية غير مجازية ولكنه يقصد عكسها تماما، فهي تتشابه مع الاستعارة ولكنها تختلف عنها في الغاية وطريقة التعبير، ومن جهة أخرى نجد العرفانية التي اختصت بدراسة العمليات الذهنية، والتداولية التي اهتمت بدراسة اللغة في السياقات المختلفة، لتجتمع هذه العناصر الأربعة وتقدم لنا رؤية كاملة لكيفية عمل الاستعارة والسخرية كأدوات تواصلية، في محاولة لاستكشاف العلاقة بين اللغة والفكر، وكيف يتم استخدامهما للتعبير عن الأفكار؟ وكيف يستطيع المتلقي فهم ما خلفهما من مقصود؟ و ما دور كل من السياق والعمليات الذهنية في فهم كل من الاستعارة والسخرية؟

فهي رؤية شاملة كاملة جمعت بين الجوانب العقلية واللغوية.

أصول الاستعارة في فكر عطية سليمان:

عطية سليمان من العلماء اللغويين المعروفين في العالم العربي، فقد كرس حياته ووجه اهتمامه وفكره للدراسة والبحث في شتى المجالات من بينها اللغة فدرس فيها اللسانيات العصبية والعرفانية والتداولية العصبية وغيرها، وأبدع نظرية في الاستعارة هي (نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي)، تجاوز فيها ما نعرفه عن الاستعارة الكلاسيكية التقليدية والعرفانية والمزج المفهومي، وقد

أثمرت أبحاثه بإنجازات فريدة تجسدت في مؤلفاته التي قدمت رؤى ووجهات نظر جديدة، وهذه الإنجازات لم تكن وليدة الصدفة، بل هي نتاج خبرة عميقة وأبحاث امتدت لسنوات.

ولعل الاستعارة أبرز نظرية كان لها حظ وافر وكبير من أبحاث ودراسات عطية سليمان، وفي هذا السياق نطرح التساؤلات الآتية:

- هل كانت هذه المرة الأولى التي يتناول فيها عطية سليمان قضية الاستعارة ؟
- كيف نمت وتطورت قضية الاستعارة في فكر عطية سليمان؟
- كيف قام بتوسيع نطاق هذه النظرية وربطها بالجانب العرفاني ثم العصبي ثم التداولي؟

نهدف من هذه الأسئلة تتبع تطور نظرية الاستعارة في فكر عطية سليمان وفهم كيف بَنَى نظريته ووسعها لتشمل جوانب متعددة.

الحقيقة أن عطية سليمان له باع طويل في مجال دراسة الاستعارة، فالمتتبع لمؤلفاته يلحظ نمو وتطور الفكرة عنده، ففي كل كتاب يطرح لنا فكرا جديدا حول الاستعارة، ويمكن القول أن نقطة البداية في رؤيته الجديدة للاستعارة كانت في مؤلفه الأول: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية فقد تطرق في هذا الكتاب إلى المفهوم التقليدي للاستعارة وأتبع هذا المفهوم بالنظرة الحديثة للاستعارة في الفكر العرفاني مركزا على النظرية العرفانية التي رأت أن الاستعارة بنية تصورية تقوم على بناء تصور في ذهن المتكلم حول الأشياء من حوله، وفهم مجال من خلال مجال آخر(الاستعارة كعملية تصورية) فنبني في تصورنا صورة عن الثاني من خلال الاستعانة بالمجال الأول، فافترضت العرفانية مكانًا تتم فيه كل هذه التصورات أطلقت عليه مصطلح الفضاء الذهني، وقد انبثق عن النظرية العرفانية عدة نظريات

كالاستعارة المفهومية والمزج المفهومي والاستعارة الاتجاهية والبنيوية ... استعان بها عطية سليمان في دراسة بعض الاستعارات التي جاءت في القرآن الكريم وأبان كيفية إنشائها واستيعابها من قبل المتلقي.

ومن ذلك يمكن اعتبار هذه الدراسة بداية أو قاعدة بَنَى عليها عطية سليمان أفكاره ليطرح لنا فكرا جديدا، فبعد أن طور وبلور فكره بالبحث في التداولية والعرفانية وعلم الأعصاب، طرح بين أيدينا في سنة 2023 كتابا بعنوان: نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، ليسد الرؤية القاصرة للاستعارة التي قدمها في كتابه : الاستعارة القرآنية، ويسلط الضوء على جانب لم يطرقه في الاستعارة وهو مكان صنعها وبين دور وعمل العقل في صنع الاستعارة، فطرح الاستعارة كعملية عصبية تحدث في الدماغ وبين كيف تثار وتنشط خلايا الشق الأيمن من الدماغ عند إبداع الاستعارة وعند تلقيها لأول مرة ليطلق عليها مصطلح الاستعارة العصبية.

ليعود في سنة 2025 بمؤلف وفكر جديد قارب فيه بين الاستعارة والسخرية في إطار نظريتي التداولية والعرفانية تحت كتاب وسم ب: الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، قدم فيه رؤية عميقة في دراسة العلاقة بين الاستعارة والسخرية وبعديهما التداولي والعرفاني وأبان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، كما تطرق إلى الجانب العصبي لكل منهما وأبان المكان الذي يعالجان فيه في الدماغ(الشق الأيمن)، ووقف على الآليات المعرفية التي تقف خلف فهم وإنتاج الاستعارة والسخرية، متتبعا نموهما في دماغ الطفل منذ مراحله الأولى وكشف عن حالات عدم فهمهما عند المصابين بانشطار الدماغ .

1- تقديم الكتاب:

1-1 بطاقة فنية للكتاب:

عنوان الكتاب: الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية

المؤلف: عطية سليمان أحمد

عدد الصفحات : 187

حجم الكتاب: متوسط

دار النشر: دار السحاب للنشر والتوزيع

الطبعة: الأولى

بلد النشر: مصر- القاهرة

تاريخ الإصدار:2025

لغة الكتاب: اللغة العربية

1-2 دراسة عنوان الكتاب :

عنوان الكتاب ليس مجرد كلمات تكتب على الغلاف الخارجي للكتاب وفقط بل هو جزء أساسي من الكتاب يحمل دلالته ومعانيه ويعبر عن محتواه و هو أول ما يلفت ويجذب انتباه القارئ فمن خلاله يستطيع توقع الفكرة العامة للكتاب، ومن ذلك يمكن اعتباره عتبة الدخول إلى الكتاب، وبناء على ذلك يحرص الكاتب على اختيار عنوان كتابه بدقة لأنه العنصر الأكثر بروزا ووضوحا، بل إنه انعكاس لفكر الكاتب وما رسمه في كتابه، وفي هذا السياق يأتي عنوان الكتاب: **(الاستعارة والسخرية**

مقاربة تداولية عرفانية)، ليطرح على المتلقي عدة تساؤلات تدفعه إلى استكشاف وقراءة الكتاب.

اختار المؤلف وضع عنوان الكتاب في أسفل واجهة الكتاب تحت صورة لدماغ بشري تحمله مجموعة من الكتب ووسمه ب: الاستعارة وتحتها مباشرة عبارة (السخرية) مقابلة لعبارة (الاستعارة)، ثم تأتي تحتها عبارة مقاربة تداولية عرفانية وهذا الترتيب ليس من محض الصدفة، بل هو إبداع ودقة من قبل المؤلف لإيصال فكرة الكتاب إلى المتلقي، فوضع العنوان تحت دماغ بشري تحمله كتب ليلمح إلى مكان صنعهما وهو الدماغ، ليأتي العنوان مباشرة تحت الصورة مبدوءا بعبارة الاستعارة ثم تأتي بعدها عبارة(السخرية) وهذا الترتيب ليس من فراغ، فقد سبق الاستعارة لأنها تقوم على الخيال أكثر من السخرية ومنها كان منطلق الدراسة وبعدها مباشرة نجد عبارة (مقاربة تداولية عرفانية) وربما تشير إلى رغبة المؤلف في التعبير عن هدف الدراسة وهو المقابلة بينهما في إطار النظرتين أي دراستهما في الاستعمال التداولي مع التركيز على العمليات الذهنية التي تقوم بإنتاجهما، وهذا التظافر في الدراسة يسمح بدراسة كل من الاستعارة والسخرية في إطار كامل متكامل باعتبارهما يرتبطان بالاستعمال والإدراك.

فالعرفانية كشفت اللثام عن مكان إنتاج كل من الاستعارة والسخرية وهو الشق الأيمن من الدماغ أي مكان معالجتهما، ثم أتت التداولية لتسلط الضوء على الصورة المفسرة للعبارة فدرستهما في السياق من خلال الاستعانة بمبادئها، وقسمت عملية الفهم الذهني لهما إلى درجتين فوضعت الاستعارة في الدرجة الأولى والسخرية في الدرجة الثانية، وذلك لأن السخرية تأتي بالمعنى الحرفي والمتلقي يبحث عن القصد مما يحتاج إلى تفكير أكبر لفهم العبارة على عكس الاستعارة التي تحتاج إلى مستوى أقل من التفكير لأنها تقوم على الربط بين شيئين توجد بينهما علاقة.

1-3 سميائية الغلاف:

الغلاف الخارجي للكتاب لا يقل أهمية عن عنوانه، فمن خلاله يحاول المؤلف تحفيز وإثارة فضول المتلقي وجذب انتباهه من خلال الصور والألوان والرموز والكتاب الذي بين أيدينا يجمع كل هذه المعايير، فقد تمكن عطية سليمان من إخراج غلاف كتابه في شكل إبداعي معبر عن فكرة الكتاب ومحتواه، فقد وفق إلى حد كبير في اختيار صورة الغلاف المعبرة عن جوهر الكتاب وفكرته العامة، إضافة إلى الألوان المنتقاة والكتابة المميزة مما يعطي المتلقي انطباعًا أوليًا عن محتوى الكتاب.

اقتصر الغلاف الخارجي للكتاب على ثلاثة ألوان رئيسية وهي:الأزرق والبنفسجي، والبرتقالي، إذ مثل اللون البنفسجي الخلفية العلوية للكتاب واللون البرتقالي الخلفية السفلية، حيث تصدر الكتاب من الجهة العلوية صورة لدماغ بشري في وسط كتاب مفتوح تحمله مجموعة من الكتب، قسم هذا الدماغ إلى نصفيين أحدهما لون باللون الأزرق والآخر باللون البرتقالي وتزين كل نصف بترس رمزًا للعمليات المعقدة التي يقوم بها الدماغ، وربما يشير هذا التقسيم إلى ثنائية الاستعارة والسخرية، حيث مزج الباحث بين اللون الأزرق الدال على الذكاء والمعرفة واللون البرتقالي المعبر عن الطاقة والإبداع لبيان أن الدماغ مصدر الإبداع والابتكار ومن جهة أخرى لمح إلى مكان صنعهما وهو الدماغ، وهذا الدماغ كما أشرنا سابقا وضع في كتاب مفتوح تحته مجموعة من الكتب ربما ليشير إلى أن الفكرة تقوم على البنية العصبية، أما بالنسبة للكتب الكثيرة التي تحمله ليبين أن الفكرة العصبية لكل من الاستعارة والسخرية انطلقت من عدة أفكار ونظريات، ويندرج تحت هذه الصورة عنوان الكتاب ليؤكد إدراجهما واحتوائهما في الدماغ، وسم بالسخرية ثم تحتها مباشرة في الجهة المقابلة عبارة (السخرية) باللون الأبيض وهو لون يدل على النقاء

والاتساع، ثم تليها مباشرة عبارة (مقاربة تداولية عرفانية) بخط أقل سمكا باللون البني.

والشيء الذي أضاف طابعا أكاديميا للكتاب هو إدراج اسم المؤلف ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها مما منح الكتاب مصداقية علمية، فقد ورد اسم المؤلف في أعلى الكتاب باللون الأبيض بهذا الشكل: أ.د عطية سليمان أحمد، تحته مباشرة تخصصه: أستاذ العلوم اللغوية، ومن ثم المؤسسة التي ينتمي إليها جامعة السويس، كما ذيل الكتاب في الجهة المقابلة بدار النشر وهي دار السحاب باللون الأحمر.

وبهذا الشكل يتكامل شكل الغلاف لينقل إلى المتلقي فكرة عن محتوى الكتاب بشكل جذاب، متضمنا جميع العناصر البصرية والنصية مما خلق تصورًا فكريًا حول الموضوع .

1-4 القيمة العلمية للكتاب:

على الرغم من الأهمية البالغة لكل من الاستعارة والسخرية، إلا أن الدراسات والأبحاث لم تمنحهما دراسة شاملة وموسعة، خاصة في إطار نظريتي التداولية والعرفانية ومن هذا المنطلق يأتي كتاب (الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية) ليسد هذه الفجوة من خلال تقديم دراسة معمقة حول الاستعارة والسخرية وربطهما بالنظرتين، يقول عطية سليمان في مقدمة كتابة:" لم أر دراسة موسعة تجمع بين الاستعارة والسخرية في إطار نظريتي التداولية والعرفانية، في عمل يبين أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما والخلفية العصبية لهما."[1]

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، دار السحاب، مصر–القاهرة، ط1، 2025 ص5

يتضح من ذلك الهدف الرئيسي للكتاب، وهو تقديم دراسة متعمقة حول الاستعارة والسخرية في إطار التداولية والعرفانية من خلال المقابلة بينهما، واكتشاف أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، وتحليل الخلفية العصبية التي تقف وراءهما، كما يسعي الكتاب إلى الإجابة على التساؤلات الآتية: هل هناك علاقة بين الاستعارة والسخرية؟ هل استطاعت التداولية تفسير هذه العلاقة؟ ما رأي العرفانية في هذا؟

فالعرفانية اقتصرت دراستها على العمليات العقلية التي تحدث في الذهن لفهم الأشياء من خلال بناء تصور لها في ذهن كل من المتلقي والمتكلم أي كيف يبني كل منهما تصورا لهذا الشيء في فضائه الذهني عن طريق المشابهة بفهم مجال من خلال مجال آخر، فأغفلت ما خلف هذه العبارة من دوافع وهنا تأتي التداولية لتكمل ما نقص في النظرية العرفانية من خلال مبادئها لتكشف اللثام عن المعاني الخفية للعبارة.

فكلا النظرتين يكملان بعضهما البعض، فبينما عنيت العرفانية بدراسة العمليات الذهنية، اهتمت التداولية ببحث ما خلف العبارة من معان مقصودة وغير مقصودة بالاستعانة بمبادئها مثل : الافتراض المسبق، إشاريات، قصدية المتكلم الاستلزام الحواري...

فلكل نظرية تصورها الخاص وكل منهما يكمل الآخر ويترابط معه، لذا فالجمع بينهما في دراسة الاستعارة والسخرية سيعطينا فهمًا أعمق وأشمل.

1-5 محتوى الكتاب:

قدم هذا الكتاب رؤية جديدة لكل من الاستعارة والسخرية من خلال عدسة التداولية والعرفانية، حيث عد هذا الكتاب الأول من نوعه فقد ربط بين الاستعارة

والسخرية في إطار الدراسات الحديثة مما يجعله عملا رائدًا في مجال اللسانيات العرفانية والتداولية.

المطلع على هذا الكتاب يلاحظ أن المؤلف رتب مادة كتابه وركبها بما يتناسب مع انسجام وتناسق موضوعاته وأبحاثه، حتى يكتمل بناؤه، لذا فقد جاء الهيكل العام في تقديم وخمسة فصول، هدف من خلال التقديم إلى تحديد نطاق البحث، وقدم فيه شرحا لكيفية تناول الموضوع بقوله: لهذا سنحاول مناقشتهما في إطار النظرية التداولية والعرفانية، في إطار مقاربة تجمع بينهما، ونحاول أن نقابل بينهما، فجعلنا للسخرية بابًا من دراستنا وللاستعارة بابا آخر ثم قابلنا بينهما لنبين مواضع الاختلاف والاتفاق بينهما وبابًا للمعنى الحرفي و المجازي."[1]

فالمؤلف لم يضع مقدمة لكتابه ولكنه عوضها بتقديم عد بمثابة خارطة للقارئ يستدل بها لأخذ نظرة شاملة وموجزة عن الكتاب.

قسم عطية سليمان كتابه إلى خمسة أبواب، حيث تكفل الباب الأول بدراسة **الاستعارة بين التداولية والعرفانية** وجاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، وسم الفصل الأول **بالاستعارة مقاربة تداولية،** حيت تناول فيه التصور الجديد للاستعارة من وجهة نظر التداولية، وأبان عن العلاقة التي جمعت الاستعارة بالدماغ والتداولية وربط بينهما فالاستعارة منتج لغوي صنعه الدماغ والتداولية آلة تحليل هذا المنتج فتقوم بتفسير وبيان مقصود العبارة من خلال مبادئها، ومن ثم سلط الضوء على أحد مبادئ التداولية وهو مبدأ التعاون وربطه بالاستعارة من خلال توضيحه قدرة المتلقي على استنتاج قصد المتكلم وهو ما لم يصرح به، من خلال استحضار هذا المبدأ.

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص5-6

أما الفصل الثاني فقد عنون **بالاستعارة بين البعد التداولي والعرفاني**، تطرق فيه إلى تصور النظرتين للاستعارة، ولكن أغلب حديثه كان عن التداولية والاستعارة وربما هذا راجع إلى حديثه عن العرفانية والاستعارة في كتب أخرى، وخرج من المقابلة بين هذين البعدين بنتيجة مفادها أن كلا النظرتين أساسيتان في فهم وتفسير الاستعارة فكل نظرية عنيت بتفسير جانب خاص منها.

وعني الفصل الثالث **باشتغال الاستعارة والمعنى التداولي**، حيث ركز فيه على كيفية التواصل بين الناس عن طريق الاستعارة، وكيف يتم فهم المعنى المجازي من خلال السياق والتفاعل بين المتكلم والمخاطب مركزا على دور التداولية في تفسير ذلك من خلال آراء جون سيرل.

وتناول في الفصل الرابع موضوع **الاستعارة والنظريات التداولية** فعرض أولا للتصور الكلاسيكي للاستعارة ومن ثم قدم تصور النظريات التداولية كنظرية الارتباط و نظرية القدرات العقلية...

ليختم بفصل خامس حول **الاستعارة واللغة ودلالة الخطاب الاجتماعي**، حيث تطرق فيه لعدة قضايا حول علاقة التداولية بالاستعارة.

أما الباب الثاني فقد عرض فيه إلى **علاقة الاستعارة بالمعنى الحرفي والمجازي والخطاب التداولي**، كما أبان **نظرة كل من التداولية والعرفانية للمعنيين** في تفسيرهما للاستعارة هذا بالنسبة للفصل الأول، ثم يأتي الفصل الثاني مبينا نظرة **آراء العلماء للمعنى الحرفي والمجازي والتداولي في الاستعارة**، ليختم هذا الباب بفصل ثالث تمحور في **آراء علماء التداولية والعرفانية وتمييزهم بين المعنى الحرفي والمجازي** وعلاقتهما بالاستعارة في إطار النظريتان.

بينما خصص الباب الثالث لدراسة **السخرية من منظور التداولية**، وقسم بدوره إلى خمس فصول، فصل في **التعريف بالسخرية** والثاني في **وسائل التعبير عن السخرية** وكيف يتم ربطها بمبادئ التداولية لفهم قصد المتكلم، أما الفصل الثالث خص **بدراسة غايات السخرية** التي تكشف عنها التداولية من خلال مبادئها وفسرت السخرية من خلال العديد من النظريات مثل نظرية التظاهر ونظرية الارتباط...في فصل رابع، ليختم الباب **بدراسة السخرية في الأدب**.

وفي الباب الرابع قام بإجراء **مقابلة بين الاستعارة والسخرية** لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، فجعل الفصل الأول في **الاختلاف والاتفاق بينهما** فكلاهما انتهكا المعنى وتجاوزاه، إلا أن السخرية حافظت على المعنى الحرفي وقصدت ضده فهي تعتمد على التناقض بين ظاهر العبارة وسياقها، في حين الاستعارة قامت على المشابهة فتجاوزت المعنى الحرفي إلى المجازي، ولكن بغض النظر عن هذا الاختلاف فهما ينتجان في مكان واحد من الدماغ وهو الجزء الأيمن وجاء الفصل الثاني تحت عنوان:**إدراك الأطفال اللغة غير الحرفية** أي اللغة التي لا ننطق بمرادها مباشرة، فعالج قضية نمو مدارك الطفل حتى يتمكن من ربط اكتساب مهارات التداولية بنظرية القدرات العقلية، وشرح وفصل في كيفية نمو الاستعارة والسخرية في دماغ الطفل، أما الفصل الثالث فخصص للحديث عن **مكان معالجة كل من الاستعارة والسخرية** .

وأُفرد الباب الخامس **لآلة التطبيقية** وكان هذا الباب بمثابة حوصلة لما قدمه سابقا بشكل موجز، تحدث فيه عن العلاقة التي جمعت بين الاستعارة السخرية وكيف عالجتهما كل من التداولية والعرفانية، أيهما أقرب إلى النظرتين، كلها أسئلة طرحها و أجاب عنها.

2- معالجة قضايا الكتاب:

2-1 قضية الاستعارة والسخرية بين العرفانية والتداولية:

يقول عطية سليمان:" ارتبطت الاستعارة بالعرفانية كآلية تفسر وتحلل الجملة الاستعارية وبيان كيف ربطت الاستعارة بين شيئين مختلفين وربما متنافرين في عبارة استعارية واحدة من باب التشبيه، فحددت المجال والهدف."[1] فالعرفانية تهتم بتحليل وتفسير الاستعارة باعتبارها عملية ذهنية تحدث في ذهن كل من المتلقي والمتكلم في الفضاء الذهني من خلال نظريتي الاستعارة التصورية والمزج المفهومي، فرأت أننا نفهم الاستعارة من خلال بناء صورة في الذهن للثاني من خلال الصورة الأولى المتجذرة في الذهن، أو بالجمع بين شيئين مختلفين من خلال الأفضية الذهنية في الفضاء الذهني لبلورة وإنتاج معنى ثالث، فقد تمكنت الاستعارة من الجمع بين اللغة والفكر، فكانت محط الدراسة من قبل العرفانية باعتبار العرفانية تهتم بدراسة العمليات الذهنية التي تحدث في الدماغ من إنتاج وفهم اللغة، فعنيت بتفسير كيفية بناء تصور ما في الذهن، فحد الاستعارة عند العرفانيين في كونها عملية تصورية تقوم على فهم مجال من خلال مجال آخر.

لتأتي التداولية كعلم حديث يهتم بدراسة اللغة في السياق وتكشف عن جوانب خفية في الاستعارة أغفلتها العديد من النظريات، ومن هذا السياق نطرح التساؤلات الآتية: ما المقصود بالتداولية؟ وكيف ارتبطت التداولية بالاستعارة وما علاقتها بها؟ وهل هناك علاقة بين العرفانية والتداولية؟

يمكن القول أن التداولية:" هي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام LANGUAGE IN USE، يعني دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص11

المعجمية، أو تراكيبها النحوية. هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة."[1]

وتعتبر أيضا:" فرع من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم speaker intentions أو دراسة معنى المتكلمmeaning speaker فقول القائل أنا عطشان مثلا قد يعني أحضر لي كوبا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارا بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله الكلمات فكيف يفهم الناس بعضهم؟ "[2]

وتبعا لذلك يمكن القول أن التداولية علم يعنى بدراسة اللغة في الطبقات المقامية المختلفة، أي اعتبار اللغة كلاما محددا صادرا عن متكلم محدد موجه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في سياق تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد فهي تبحث في من هو المتكلم؟ إلى من يوجه كلامه؟ وكيف يتلفظ المتكلم بشيء ويريد شيئا آخر؟ وكيف يفهم المتلقي قصد المتكلم؟

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، ومعرفة كيفية الوصول إلى المعاني المقصودة المخفية خلف العبارة، أخذت التداولية على عاتقها مهمة تحليل وتفسير هذه الشفرات التي تكون بين المتكلم والمستمع، فدرست العبارة من أربعة جوانب وهي: الإشارة الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية.

1- الإشارة: وهي تعبيرات تحيلنا إلى مكونات السياق التواصلي(من المتكلم؟ ومن المتلقي؟ وزمن التكلم، ومكانه) وهي بدورها تنقسم إلى:

---

[1]- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، دار شمس،القاهرة، ط1، 2010، ص18

[2]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002 ص 12

1-1 إشاريات شخصية: و يقصد بها :" إشاريات تنوب عن الشخص، وتشير إليه بدلا من اسمه، وأول هذه الإشاريات الضمائر بأنواعها المختلفة، وهي تأتي في الترتيب كالآتي: ضمائر التكلم ثم المخاطب ثم الغائب."[1]

1-2 إشاريات مكانية: وهي ألفاظ تدل على مكان التحدث، وتحدد دلالتها من خلال السياق التواصلي، يقول محمود نحلة:"هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم ووقت التكلم، أوعلى مكان غير معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة."[2]

1-3 إشاريات زمانية: وهي ألفاظ تدل على زمن التحدث، فإن لم نعرف زمن التحدث سيحدث لبس لدينا، يحدد هذا الزمان :" السياق بالقياس إلى زمن التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ، فقولك مثلا ... نلتقي الساعة العاشرة فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساء من هذا اليوم أو من يوم يليه."[3]

2- الافتراض السابق: وهو " أن يوجه المتكلم حديثه إلى السامع مما يفترض سابقا أنه معلوم له... فمن الاستعمال العام أن يقال: كتب زيد رسالة إلى عمرو فيفترض السامع سلفا أن عمرا يقرأ ويكتب أو يقال: إما أن يكافأ زيد أو تكافأ زوجته فيفترض السامع سلفا أن لزيد زوجة".[4]

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني ، ص163

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21

[3]- نفسه، ص19

[4]- نفسه، ص 26-28

3- الاستلزام الحواري: يبدأ هذا الاستلزام من نقطة أن المتكلمين قد:" يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون...فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال."[1]

4- أفعال الكلام: فعندما ننطق بها وكأننا نؤدي أفعالا، فينطلق الكلام من الناس:"بغرض محدد يقصده المتكلم ويعنيه، وبناء على ذلك تحمل الألفاظ أغراضا مختلفة ضمن هذا الكلام، ويتم بناء على تلك الألفاظ أفعال وأحداث أو ما نسميه(إنجاز) أو نتيجة لهذا الكلام، فالناس إنما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ نحو قول المدير لموظف عنده أنت مطرود"[2].

ارتكزت التداولية على هذه المبادئ لتفسر ما خلف العبارة من معان ومقاصد مختلفة وتبين شفرات المتكلم، ليبرز من خلفها اتجاه حديث في الاستعارة يرى أنها تتجاوز كونها قضية دلالية بل هي قضية تداولية، يقول عطية سليمان في هذا السياق:" إن الاستعارة ليست قضية دلالية، بل قضية تداولية تُعنى بتجاوز حدود الدلالة ومنطق اللغة، لبيان جانب في الاستعارة تعجز الدلالة عن بيانها، فتبين العلاقة غير المباشرة بأفعال الكلام، أي التأثير غير المباشر لأفعال الكلام كجانب خفي يتضمنه الكلام، وتبينه أفعاله نحو قوة التأثير."[3]

مما يستدعي منا إعادة النظر في الاستعارة من منظور تداولي لا دلالي ففهم العبارات المختلفة لا يقتصر فقط على دلالة الكلمة فقط بل يعتمد أيضا على السياق

---

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33

[2]- عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني والمعنى العرفاني، ص166

[3]- عطية سليمان، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص14

الذي قيلت فيه، كقولنا مثلا: أحمد أسد حتى نفهم هذه العبارة لا نعتمد على دلالة كلمة(أحمد) و(أسد) فقط بل يجب أن نعرف أيضا السياق الذي قيلت فيه لنعرف إذا كان مدحا أو شيئا آخر، " فالاستعارة ظاهرة تداولية في جوهرها لأنها لا تخاطب المتلقي بمعناها الحرفي، ولكن بمعناها المجازي الذي يحقق للمتلقي تواصلا أكبر وفهما أعمق."[1]

والدلالة غير قادرة على تفسير المعنى المجازي لأن الكلمات المنطوق بها تحمل معاني أكثر من دلالتها.

وهذا لا يعني أنه يمكن الاستغناء عن الدلالة :" فالاستعارة تقوم على مبدأ المشابهة بين الحدين، وكل حد يحلل إلى مقوماته الأساسية لبناء الحقول الدلالية فإذا لم يوجد مقوم أو دلالة تجمع بين الحدين فإن التركيب ليس فيه انسجام لتباعد الحقول."[2]

فمن خلال الدلالة نستطيع الربط بين المفاهيم المختلفة من خلال إيجاد أوجه التشابه بين الحقول الدلالية ومن دونها لا نستطيع الربط بين المفاهيم المختلفة.فالدلالة تجيب على سؤال ماذا تعني الكلمات حرفيا؟ بينما التداولية تجيب على سؤال ماذا يقصد المتكلمين وراء هذه الكلمات في السياق؟ بمعنى حتى يتحقق الفهم الكامل للاستعارة يجب تجاوز المعنى الحرفي للكلمات وهذا ما تميز به عطية سليمان في معالجته لقضية الاستعارة في النظرية التداولية، إذ أبان أن الاستعارة تتجاوز حدود الدلالة إلى التداولية لتعالج جانبا في الاستعارة عجزت الدلالة عن بيانه وتفسيره لأنه يحمل معنى مجازيا يتجاوز فيها المتكلم دلالة كلماته" فتمنح الأشياء

[1]- عطية سليمان، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص13

[2]- عمار لعويجي، تداولية الاستعارة، ص15

صفات لا يمكن قبولها دلاليا ولا منطقيا، إنه أصل الاستعارة ومكمن جوهرها، فتأتي التداولية ومبادئها لتفسر الاستعارة." [1].

فالفهم الكامل للاستعارة يتطلب تجاوز المعنى الحرفي للعبارة، وهذا ما سعت التداولية إلى تحقيقه، كشف اللثام عن المعنى الخفي وهذا لا يتحقق إلا بوجود العنصر الدلالي فهو يمثل نقطة انطلاق تستند عليها التداولية لتحديد المعاني الخفية.

وانطلاقا مما سبق نطرح التساؤلات الآتية: ما علاقة الاستعارة بالتداولية؟ كيف نفهم الاستعارة في إطار التداولية؟ وهل هناك علاقة بين مبادئ التداولية والاستعارة؟طرأ على الاستعارة تطور كبير، انطلاقا من كونها عملية لغوية تتمثل في الاستبدال والعدول إلى كونها عملية تصورية كامنة في الذهن، إلى أن أصبحت مجالا خصبا في المنظور التداولي، فقد تفطن الكثير من الباحثين لدور التداولية في تفسير الجانب الخفي للاستعارة الذي أغفلته الكثير من الدراسات، من هؤلاء الباحثين نجد: سيرل، جرايس، عطية سليمان.

فالاستعارة عند سيرل" تتمحور حول كيفية فهم السامع للتلفظ الاستعاري للمتحدث"[2]، حيث نجد محاولاته في التمييز بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم وكيف يقول المتكلم شيئًا ويقصد شيئًا آخر؟ من خلال محاولته معالجة الأفعال الكلامية وخروجها من معناها الحرفي إلى معناها غير الحرفي يقول:" إن نظرية أفعال الكلام تقدم لنا شرحا مبسطا لجميع الجمل التي تملك قوة الفعل المتضمن في القول إذ كل فعل متضمن في القول يفترض مجموعة من الظروف التي تساعد على

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، 14

[2]– المنجي القلفاط، الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفاني، جامعة منوبة، تونس،2012، ص312

اكتماله وتحققه."[1]

فنظرية أفعال الكلام تساعدنا على فهم المعنى الخفي وراء الكلام بالاعتماد على السياق.

إلى أن جاء جرايس وجاء بمبدأ التعاون بين المخاطب والمتكلم :" وهو مبدأ حواري يشتمل على أربعة عناصر وهي: مبدأ الكم (اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه)، مبدأ الكيف(لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح)، مبدأ المناسبة(اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع)، مبدأ الطريقة(كن واضحا ومحدد)."[2]

إذ تتمثل الاستعارة عنده في خرق هذه العناصر" فعندما يتكلم شخص منتهكا جميع هذه القواعد، ويفعل ذلك بطريقة تجعلنا لا نظن أنه أحمق أو أخرق، نجد أنفسنا إزاء استلزام. من الواضح أنه يريد أن يقصد شيئا آخر"[3]، وهو يفترض أن المتخاطبين يحترمون هذا المبدأ لذلك وجب الأخذ به عند التحاور، فكل من سيرل وجيرس حاولا تقديم تفسير للاستعارة، وكيف يقول المتكلم شيئا ويقصد به شيئا آخر.

وفي سياق حديثنا عن كيفية فهم المعنى الخفي وراء الكلام، لا يمكننا إغفال إسهامات عطية سليمان في دراسة الاستعارة، فقد فتحت رؤيته الجديدة آفاقا جديدة لفهم كيف تتشابك الاستعارة والتداولية حيث قدم لنا رؤية حديثة تثري فهمنا لهذه الظاهرة اللغوية، فما هي الأفكار الجديدة التي طرحها الباحث حول علاقة الاستعارة

---

[1]- نبيل محمد الصغير، الفكر التداولي عند جون سيرل، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، جامعة مولود معمري مج1، العدد12، 2015، ص60

[2]– محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص34

[3]– أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، النظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان، ط1 2005، ص238

بالتداولية؟

سلط عطية سليمان الضوء على العلاقة المعقدة بين الاستعارة والتداولية وتمكن من إيضاح وبيان العلاقة بينهما وربطهما بالعمليات العقلية، وهي دراسة حديثة تميز بها عن غيره، يقول عطية سليمان:" إذا كانت الاستعارة تمثل الصورة النصية للعبارة فالتداولية تمثل الصورة الخفية المفسرة للعبارة، نتمكن من خلالها من قراءة مضمون الرسالة المختفي خلف ألفاظ العبارة، وما وراء نصها، فالعلاقة تكاملية بينهما."[1]

فإذا كانت الاستعارة تقدم لنا الصورة الظاهرة للعبارة فإن التداولية تساعدنا على فك شفرة العبارة وما وراءها من معنى خفي، باعتبار" التداولية فن التواصل تقوم على تحليل آلية التواصل، وبيان كيفية تحقيق تواصل ناجح بينهم، والعناصر التي تحقق ذلك بين المتكلم والسامع والتي تسمى مبادئ التداولية نحو الاستلزام الحواري وقصدية المتكلم وغيرهما من مبادئ التداولية، وفي المقابل نجد الاستعارة لغة المجاز والخروج عن المعنى الحرفي للعبارة ومن ثم كانت الحاجة لمن يبين المعنى الحقيقي الذي يجب أن يُفهم من منطوق العبارة لبيان المعنى المجازي الذي تقصده العبارة."[2]

فالتداولية تساعدنا على تجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي الذي أراده المتكلم من خلال مبادئها، ومن ذلك تتضح لنا العلاقة بينهما وأنهما يكملان بعضهما، فالتداولية عنيت بتفسير خفايا العبارة المجازية(الاستعارة)، لذلك فالجمع بينهما ضروري لنحقق فهم أعمق وأشمل للعبارة لذلك وجب الربط بينهما.

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص23

[2]- نفسه، ص16

فكيف تسهم التداولية في تفسير الاستعارة وإبانة ما خلفها من مقاصد؟ سنحاول بيان ذلك من خلال إحدى مبادئ التداولية وهو مبدأ التعاون، فماذا نقصد به؟

المقصود به" أن يكون حديثك مركزا مختصرا طبقا لحاجة الحوار وغايته ويقوم على مبادئ أساسية(الكيفية، الكمية، الصلة، الأسلوب) هذه المبادئ هي ما يقوم بها المتلقي لتقييم كلام المتكلم ويستنتج منه مقصده، وهذا يعني البحث عن آلية تقييم المتكلم لكلامه قبل النطق به، و هو ما يجعل المتلقي يقيم الكلام في ضوء هذه المبادئ، ويصل منها إلى نتائج لم يصرح بها المتكلم ولكن المتلقي استنتجها منه باستحضار مبادئ التداولية."[1]

فالمتلقي يعتمد على هذه المبادئ في تقييم كلام المتكلم وأي خرق لإحدى هذه المبادئ يجعل المتلقي يبحث عن المعنى الخفي وراء قول المتكلم، على سبيل المثال الحوار الآتي:[2]

آن: هل يمكننا أن نثق أن جون سيفعل ما طلبناه منه، وسيدافع في مجلس الجامعة عن مصالح قسم علم اللغة؟

بوب: جون جندي

فبوب بإجابته خرق مبدأ الصلة إذ قدم جوابا غير مرتبط بالسؤال، فتحاول آن تفسير المعنى الحرفي للعبارة وإذا لم تتمكن من تحليلها تلجأ إلى تفسير ما وراء المعنى الحرفي لتحقيق فهم أعمق، فتضع احتمالات في تفسيرها:

1- قال بوب: إن جون جندي.

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص18

[2]- نفسه، ص19

2- بوب لا يعتقد أن جون جندي، وهو يعرف أني أعرف أنه لا يعتقد أن جون جندي.

3- بوب يلتزم بمبدأ التعاون، وخاصة مبدأ الكيفية (كن صادقا).

4- إذن، يلزم عن 1و2و3 أن بوب لا يقصد المعنى الحرفي لجملة جون جندي.

5- إن المؤكد أن بوب يحاول أن يقول معنى وثيق الصلة بهذه الجملة، معنى يتفق والافتراض السابق أن بوب متعاون.

6- من خلال الاستدلال يتضح أن أفضل تفسير متاح هو أن بوب يقصد أن جون مثل الجندي: مخلص لأداء الواجب ومطيع الأوامر...إلخ

فهم العبارة الاستعارية يحتاج لأفق أكبر لدى المتلقي ليصل للمعنى الذي يقصده المتكلم باستعارته، فيضع احتمالات لتفسير عبارة."[1]

فمبادئ التداولية جميعا تسهم في تحليل قصد المتكلم، من افتراض مسبق وقصدية المتكلم وإشاريات لذلك كان لزاما أن تدخل التداولية في دراسة الاستعارة كما دخلت العرفانية.

ولكن كيف يفهم المتلقي أكثر مما يقوله المتكلم وينطق به؟

يقول عطية سليمان:" هنا تظهر الاستعارة كعملية إفهام الآخر بصورة أكبر من منطوق العبارة، إننا نحتاج في هذه اللحظة إلى العيش داخل دماغ المتكلم نحاوره ونتحدث معه في صمت، تلك أساس عملية اشتغال الاستعارة، حيث تقوم الاستعارة

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص19

ببناء تصور ما في ذهن المتلقي، لتصنع من العبارة الاستعارية معاني كثيرة، يحاول كل فرد أن يفهمها بطريقته الخاصة ووفق ما في دماغه من افتراض مسبق"[1].

فعطية سليمان حاول تفسير قدرة المخاطب على فهم ما وراء كلام المتكلم من خلال اشتغال الاستعارة لدى جون سيرل، والتي تعنى بدورها" بمعرفة السبل التي بها يستطيع المخاطَب الوصول إلى معنى قول المتكلم انطلاقا من معنى الجملة."[2]

فالسامع يبدأ بالبحث عن معنى الجملة عندما لا تتوافق مع قول المتكلم لتبدأ عملية اشتغال الاستعارة بالبحث عما وراء المعنى الحرفي، وكيف يقول المتكلم شيئا ويريد شيئا آخر لم يرد في الجملة المنطوقة؟ وما المقصود من العبارة؟ "وهنا يكون اشتغال التداولية وعملها ردم الفجوة، لتصبح التداولية وسيلة تفسير وتأويل لكل قول بفهم ما خلفه من قول لم يقل، فنقوم بإضافة العبارة الناقصة في الجملة المنطوقة لبيان قصد المتكلم الذي لم ينطق به، ومن ثم يتضح دور الاشتغال في فهم الاستعارة، وذلك بتفسيرها وبيان جوانب غير منطوقة فيها."[3]

فالاستعارة عند سيرل تشتغل من خلال العديد من المبادئ حاول من خلالها تفسير كيفية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي، من هذه المبادئ نذكر:

1- الأشياء التي هي **(ض)** بمقتضى التعريف **(ع)**. فإذا اشتغلت الاستعارة فإن **(ع)** ستكون عامة إحدى الخاصيات التعريفية البارزة لِـ**(ض)**، فالعملاق مثلا طويل القامة تعريفا، فإذا قلنا زيد إنه عملاق فإننا نقول إنه طويل"[4].

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص33

[2]- نفسه، ص34

[3]- نفسه، ص34

[4]- نفسه، ص 37

فالضاد يرمز إلى المعنى االحرفي للعبارة، في حين تمثل **العين** المعنى المجازي و هو المعنى الذي يفهمه المتلقي انطلاقا من الصفة البارزة في الجملة الحرفية كقولنا مثلا (زيد عملاق) فيفهم المتلقي أن زيد طويل انطلاقا من الصفة البارزة في العملاق.

2- الأشياء التي هي **(ض)** هي عرضا**(ع)**.ومرة أخرى إذا اشتغلت الاستعارة، فإن الخاصية**(ع)** ينبغي أن تكون خاصية بارزة أو معروفة عن الأشياء**(ض)**"[1].

بمعنى الصفة المجازية**(ع)** التي نستخدمها للوصف هي صفة عارضة ولكنها معروفة عند الجميع بشكل عام كقولنا(فلان خنزير)، فصفة القذارة عرضية للخنزير فليست كل الخنازير قذرة إلا أنها صفة بارزة ومرتبطة بالخنازير في التصور العام فيسهل على المستمع فهم قصد المتكلم غير المباشر.

3- يقال أو يعتقد عامة أن الأشياء التي هي **(ض)** هي **(ع)** حتى إذا كان المتكلم والمخاطب يعرفان من جهتيهما أن **(ع)** لا تصدق عليها **(ض)**. فنحن نعتقد على وجه الخطأ أن الغوريلا حيوان مفترس وعندما نقول عن إنسان أنه غورلي فذلك قلما يكون لإبراز صفته ورقته."[2]

يقوم هذا المبدأ على التصور العام للشيء بين الناس، ومع إدراك كل من المتكلم والمخاطب أن هذه الصفة غير صحيحة إلا أن الاستعارة تستمر بناء على الاعتقاد أو التصور الشائع عن الغوريلا وأنه حيوان مفترس ووحشي بغض النظر عن حقيقته فهو يصدر هذا الحكم انطلاقا من الثقافة المعرفية المشتركة.

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص38

[2]- نفسه، ص 38

والسؤال المطروح ماذا يريد جون سيرل بهذه التحليلات وقضية **(ج)** و**(ع)** ومبادئهما؟ وهل هذه القضية بهذه الأهمية حتى يوجه أنظاره إليها؟

يهدف جون سيرل من خلال عرضه لهذه القضية إلى بيان الفجوة التي بين المعنى الحرفي للجملة و معنى القول، فنحن نقول شيئا ونقصد به شيئا آخر، فحاول سيرل وضع مجموعة من المبادئ تساعد المتلقي على تجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي من خلال تحديد العلاقة بينهما (هل هو تعريفي أو صفة بارزة أو استعمال شائع)، فيستحضر المتلقي معرفته الخلفية لفهم المعنى المجازي (افتراض مسبق) .

وهذه القضية أساسية في التحليل و الفهم، فكيف أقول شيئا وأقصد شيئا آخر؟ ففي هذه الحالة يقوم العقل بتحليل وتفسير العبارة حتى نفهم، وربما هذا الأمر الذي دفع عطية سليمان إلى الربط بين الاستعارة والتداولية والدماغ واستند في ذلك إلى أحدث الدراسات العصبية، وهذه دراسة مستحدثة لم نجدها عند غيره إذ ربط فيها الباحث بين الاستعارة والتداولية والدماغ .

توصلنا مما سبق إلى أن الاستعارة عملية ذهنية تصنع في الدماغ ومن ثم تصب في قالبها اللغوي، يقول عطية سليمان أن من يصنع هذه الاستعارة في الدماغ هي التداولية بمبادئها قائلا:" فالاستعارة من صُنع التداولية ووسيلة تأويلها لتحقق تواصلا لفظيا بيننا، ونتاج مزج بين استعارة سابقة واستحضارها من الذاكرة بدماغ المبدع كصورة ذهنية، صبها في قلب لغوية، التزم فيها بمبادئها في منتجه."[1]

يرى عطية سليمان أن المتكلم قبل أن ينتج الاستعارة يقوم أولا باستحضار هذه المبادئ " فالتداولية راسخة بمبادئها في دماغه قبل ظهور النظرية التداولية. فيستحضر

[1]- عطية سليمان أحمد،الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص16

مبادئ التداولية ويمزج بينها في دماغه ويتخير منها ما يمكنه من خلق استعارة جديدة ليصنعها بعد مزجها باستعارات قديمة مخزنة في ذاكرته، فيصور مشاعره وفكره لحظة الإبداع، فيخرج استعارة جديدة، إنها عملية استحضار ومزج يتمان معا بدماغه."[1]

فهو يرى أن التداولية أكبر من كونها استعمال اللغة:" فهي في أبسط صورها تعرض حقيقة قدرة المخ البشري على خلق واقع اجتماعي مترابط متفاهم بكل وسائل التفاهم التي يتحقق بها التواصل بين أفراد المجتمع، مما يخلق بينهم تعاونا بناء، على أسس الخلق الحسن، هذه من أهم أسس ومبادئ التداولية.[2]

واستند في رأيه إلى رأي علماء التداولية الذين نظروا إليها كعملية تواصلية من أمثال جيري فودور الذي تناول هذا الأمر تحت ما يسمى(اشتغال الدماغ) أي "عمل الدماغ في معالجة المعلومة من بداية إدراكها بالحواس إلى أن تدخل الدماغ، لتبدأ مراكز الدماغ في معالجتها...فهي عملية عقلية يقوم بها المخ، لإبداع وسائل ربط بين الرسل والمستقبل وفق آلية محكمة".[3]

ويوضح عطية سليمان كيفية صنعها من خلال الشكل الآتي:"[4]

أ- المتكلم: حدث ما + مبادئ تداولية+ استعارة قديمة>> استعارة جديدة.

ب- المتلقي: استعارة جديدة + مبادئ التداولية وتأويلها>> فهم الاستعارة.

آثار عطية سليمان قضية مبتكرة تستحق التفكير العميق، ففكرة استحضار مبادئ التداولية وتواجدها في الدماغ لإنتاج الاستعارة تقدم رؤية جديدة لمحاولة الجمع

---

[1] – عطية سليمان أحمد،الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص 15

[2]– عطية سليمان أحمد، التداولية العصبية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة– مصر، ط1 2020 ص213

[3]- نفسه، ص74-75

[4]– عطية سليمان احمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص16

بين هذين المجالين، فهي فكرة منطقية تقوم على المزج بين الاستعارات القديمة والجديدة المخزنة في ذهن كل من المتكلم والمتلقي، وهذه الاستعارات تشكلت في ذهنهما من خلال مبادئ التداولية الراسخة، فنحن نوافق أن الاستعارة تلعب دورا محوريا وأساسيا في فهم وإنتاج الاستعارة ولكننا نتحفظ في القول بأن التداولية هي من تصنع الاستعارة، والسؤال المطروح هل التداولية وحدها القادرة على صنع عبارات استعارية ؟

فعطية سليمان بقوله هذا يقلل من الدور المحوري لكل من العرفانية والخيال ونظرتهما للاستعارة وكيفية نشوئها؟ فهناك نوع من الاستعارات لا تصنعها مبادئ التداولية، بل " يبدعها الشاعر ولا يستخلصها من الطبيعة وإنما تنشأ في نفسه وتأتيه عن طريق الخيال، والخيال له قدرة كيماوية بها تمتزج العناصر المتباعدة في أصلها."[1]

وبذلك يكون مصدر الاستعارة هو العالم الداخلي للشاعر (خياله وتصوراته الذهنية)، فمن خلال الخيال تدمج مفاهيم وصور متباعدة فتشكل لنا معنى جديدا وهو الذي " يبنين جزءا كبيرا من نظامنا التصوري، وبُنى المتخيل هي الملك المشترك الذي من خلاله نحاول فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح بالتواصل والتخاطب فيما بيننا، فلا يمكننا فهم بعضنا والتواصل معا إلا لأن هناك جزءا مشتركا من الخيال بيننا يسمح لنا بالتفاهم."[2]

فالخيال ليس إضافة ثانوية بل هو جوهر المعنى ومن خلاله نستطيع التواصل بناء على المخزون المشترك من الصور الذهنية والمفاهيم، كقوله تعالى{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}. سورة الصافات، الآية "65". فهذه الاستعارة ليست مبادئ التداولية من صنعتها بل هي نابعة من قوة التصوير والخيال الإلهي

[1]- يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي، الأهلية، عمان، ط1، 1997، ص 242

[2]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص52

لخلق صورة ذهنية منفرة وبشعة، وهي لا تستند إلى مرجع واقعي محسوس لرؤوس الشيطان، فهل يمكن القول أن التداولية هي من صنعتها؟ فربما يمكن القول أن التداولية تساعد على فهم هذه الاستعارة و تحليلها ولكن ليس صنعها.

وكذلك قول الشاعر عبد الرحمن شكري:"[1]

كَأَنَّنِي مِنْكِ فِي نَابٍ لِمُفْتَرِس الْمَرْءُ يَسْعَى وَلُغْزُ الْعَيْنِ يُدْمِيه

كَمْ تَجْعَلُ الْعَيْن طِفْلاً حَارَ حاَئِرُهُ وَرُبَّ مَطْلَبٍ قَدْ خَابَ بَاغِيه

لَوْ النِبَال نِبَال القَوْسِ مَصْمِيَة كُنْتُ أَرْدَيْتُ بِسَهْم الْقَوْسِ أَرْمِيْه

الاستعارة في قول الشاعر(كأنني منك في ناب المفترس)، حيث شبه الشاعر حالته بحالة فريسة عالقة بناب المفترس، فذكر المشبه(حالة الشاعر) وحذف المشبه به (وحش مفترس)، فهذه الاستعارة نابعة من قدرة الشاعر التخيلية، فهل يمكن القول أن الشاعر استحضر مبادئ التداولية لصنع هذه الاستعارة أم هي نابعة من خياله؟

بالإضافة إلى أن الاستعارة المفهومية والمزج المفهومي تقدمان رؤية قيمة حول الآليات المعرفية التي تكمن وراء فهم وإنتاج الاستعارات.

ومن ذلك لا يمكن القول أن مبادئ التداولية هي من تصنع الاستعارة لأن هذا القول يقلل من قيمة الخيال والاستعارات التصورية.

أما بالنسبة للسخرية فنحن لم نجد حديثا مسهبا حولها في إطار العرفانية والتداولية إذ تعتبر هذه أول دراسة تناولت السخرية من المنظورين، فعلماء الأدب

[1]– عبد الرحمن شكري، ديوان عبد الرحمن شكري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة– مصر، 2012 ص287

والنقاد قديما درسوها قضية أدبية واعتبروها لونا من ألوان الأدب، فما علاقة السخرية بالعرفانية والتداولية؟

ارتبطت السخرية بالتداولية ارتباطا وثيقا لتبين مقصود العبارة الساخرة باعتبارها تقوم على المعنى الحرفي ولكنها تقصد عكسه ومن هنا كان لابد من دراستها ضمن مبادئ التداولية، كقولنا مثلا لأحدهم(يا لك من مجتهد) فهذه العبارة قد تحتمل معنى السخرية أو الاستهزاء والذي يحسم الأمر هو مبادئ التداولية "وتستخدم هذه التعبيرات الساخرة غالبا لنقل وجهة نظر المتكلم السلبية أو للانتقاد. "[1]

ويلجأ إليها المتكلم أيضا ليعبر عن آرائه أو يسخر من الآخرين متخفيا وراء المعنى الحرفي للعبارة والذي يوحي بالمدح والثناء، فالعبارة الساخرة تحمل المعنى الحرفي وتخفي ضده و" مثل هذا التعقيد يفرض على المتلقي أو المحلل العودة إلى بعض الآليات التداولية، ثم أن تعرف السخرية على أنها تضاد أو تعاكس يعني الاحتكام إلى مستويات تحليلية مختلفة من تلفظية، وسياقية، وتصريح وتضمين، هذه المستويات تنطلق من التداولية التي تفسر ما في السياق من معنى صريح وضمني تعبر عنه ألفاظ العبارة، هذا بغرض الوصول لقصدية الساخر."[2]

ومثال ذلك قولنا" (هو ذكي) فنفهم من هذه الجملة معنيين متضادين: أنه ذكي، وأنه غبي، على سبيل السخرية، وللفصل في هذا نرجع إلى مبادئ التداولية للبحث عن قصدية المتكلم والافتراض المسبق، وهو علمنا السابق بغبائه، مما يدفعنا للبحث عما تضمنته العبارة من سخرية لنصل إلى مقصودها."[3]

---

[1]- ينظر، عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص123

[2]- نفسه، ص114-115

[3]- نفسه، ص 114

وفي المثال السابق أيضا(يا لك من مجتهد) نلجأ إلى مبادئ التداولية لنحسم المعنى المقصود من العبارة، فإذا قيلت لشخص رسب فهي سخرية منه لتعارضها مع الواقع الذي قيلت فيه، فالتداولية تساعدنا على تحليل هذه العملية المعقدة من خلال مبادئها.

ومن هذا المنطلق نرى أن السخرية تسعى إلى" إبراز المعنى التصوري الذي في تصور المتكلم وقصده الذي يخفيه في مخه، يحاول المتلقي الوصول له، نجح أم فشل، فهناك معنى في العبارة الساخرة يحاول المتلقي بناء تصور عنه، لمعرفة الغاية من العبارة"[1].

أما فيما يتعلق بالصلة بين السخرية والعرفانية لا نلاحظ وجود رابط متين بينهما لأنها لا تقوم على المجاز، يقول عطية سليمان" لا نجد دورا كبيرا للعرفانية في السخرية لأنه لا يوجد معنى مجازي في العبارة الساخرة، فهي تحمل المعنى الحرفي لتوصله للمتلقي بنصه ومعناه، وتعطيه ملامح وإشارات تجعل المتلقي يفهم عكس المعنى الحرفي للعبارة وليس المعنى المجازي، فالتحول من معنى لآخر لا يتم من خلال المشابهة، ولا يتم ببناء تصور في الفضاء الذهني للمتلقي من خلال تصور آخر"[2].

فالسخرية تفتقر لعنصر المشابهة مما قلل من الحاجة إلى دراستها وتحليلها في إطار العرفانية.

على الرغم مما سبق، هناك جانب عرفاني في السخرية وهو عمل ذهن المتلقي في العبارة الساخرة بالبحث عن المعنى الذي يخفيه الساخر في عبارته التي

[1]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص123–124

[2]- نفسه، ص177

تحمل المعنى الحرفي، فهي تحمل معنى مختف خلف المعنى الحرفي، وعلى المتلقي أن يفكر فيه ويبحث فيه ويبحث عنه، لهذا كان على الباحث أن يخترق هذا الجانب الذهني المختفي خلف المعنى الحرفي للعبارة وهو جانب عرفاني كان عليه أن يقف عنده ويبينه.

ويمكن دراسة الاستعارة والسخرية من جانب آخر، وهو علم الأعصاب وهذا ما أضافه عطية سليمان وتميز به عن غيره إذ سعى إلى تحديد المناطق الدماغية المسؤولة عن معالجتهما في الدماغ بالاستناد إلى هذا العلم الذي يختص بتتبع المعلومة من لحظة وصولها للدماغ إلى غاية تحولها إلى سلوكيات يقوم بها الأفراد فقابل بينهما في العمليات الذهنية التي تحدث في الدماغ أثناء إبداعهما.

تعتبر كل من الاستعارة والسخرية عمليتين عقليتين تحدثان في دماغ المتكلم قبل إنتاجهما وإخراجهما في قالبهما اللغوي، فما هي المناطق المسؤولة عن معالجتهما؟ وكيف يتم إنتاجهما؟ و ما هو المسار العصبي لكل منهما؟

تعالج اللغة" في القشرة المخية في صفي المخ، فقد لاحظ فيرنيك أن مناطق اللغة هذه موجودة في النصف الأيسر من المخ. وقد كشفت أدلة حديثة أن الجانب الأيمن للمخ متضمن في استيعاب اللغة، لكنه لا يتحكم في الناتج الصوتي للغة. ويعتقد أن النصف الأيمن للمخ أكثر حساسية للمحتوى الانفعالي للغة، مثل الفكاهة والسخرية."[1]

[1]- عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهر –مصر، ط1 2022، ص135

ومن ذلك يمكن القول أن " النصف الأيسر يختص بالتفسير الحرفي للغة بينما يقوم النصف الأيمن باستكمال معالجتها لغويا، وذلك بتقديم التفسير الأعلى للغة بفهم التهكم والسخرية والعبارة المجازية."[1]

وتبعا لذلك يمكننا تتبع مسارهم العصبي " فعندما نسمع عبارة ما، فإنها تصل عبر المسار العصبي من الأذن للقشرة السمعية في الدماغ، فنبحث أولا عن معناها الحرفي في الشق الأيسر منه لتفسيرها، فإذا تبين أن لها معنى أعمق من ذلك (المعنى المجازي) فإنها تنقل عبر الجسم الثفني إلى الشق الأيمن من الدماغ الذي يتولى تصنيفها من جديد، وفقا للشكل الآتي:

العبارة > الشق الأيسر >(تفسيرها الحرفي) > الجسم الثفني > الشق الأيمن(تفسير العبارة مجازيا: استعارة أو سخرية)."[2]

إذ يتبين لنا أن كلا الشقين مهمين في تفسير ومعالجة الاستعارة والسخرية وقد أثبت عطية سليمان ذلك من خلال التعرض لمرض انشطار الدماغ عند بعض الأشخاص، مما يؤدي إلى "عدم نقل الرسالة اللغوية بين شقي الدماغ(الأيمن والأيسر)، نظرا لقطع الأسلاك التي تربط بينهما (الجسم الثفني) مما يؤدي إلى عدم وصول الرسالة للشق الأيمن الذي تعالج فيه الاستعارة والسخرية والتهكم، مما يؤدي لعدم فهمهما."[3]

كما تعرض أيضا لنموهما في دماغ الطفل ليثبت أنهما ينموان في دماغ الفرد من خلال نمو قدرته اللغوية والفسيولوجية وخبراته الحياتية، يقول:" إن تطور الاستعارة ونموها يبدأ من مرحلة الطفولة، نتيجة حفظ المشاعر التي تمر بهم في

[1]– ينظر، عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة ، ص 136

[2]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص168

[3]– نفسه، ص6

طفولتهم، لتظل ثابتة في الذاكرة كأساس حسي لاستعارتهم يستمدون منها مشاعرهم التي تم تخزينها في ذاكرتهم سابقا."[1]

مما لا شك فيه أن التجارب الانفعالية المبكرة مهمة، ولكن لا يمكن حصر تطور الاستعارة فقط في التجربة الحسية للطفل فهناك استعارات تتعامل مع مفاهيم مجردة، ومن ذلك لابد أن نولي أهمية للتفاعل الاجتماعي، وبيئة الفرد، واحتكاكه الدائم بأفراده، لأن لهم دورا فعال في تطوير قدرته على فهم وإبداع الصور الاستعارية)، ولا ننسى دور النمو الفسيولوجي فعندما ينمو الطفل وتتطور حواسه وأعضاؤه يصبح قادرا على فهم وإنتاج الاستعارة، فنمو الاستعارة وتطورها عملية معقدة تتطلب تظافر كل هذه الجوانب، ويختلف نمو كل من الاستعارة والسخرية في ذهن الطفل بحسب درجة التعقيد في كل منهما" فاكتساب الطفل للاستعارة وإنتاجها يكون قبل فهم وإنتاج السخرية... لذا يبدأ الطفل بفهم الاستعارة وتوظيفها في معالجة شؤون حياته"[2].

بعد حديثنا عن دور كل من التداولية والعرفانية في فهم وتفسير الاستعارة والسخرية وتتبع نموهما عند الطفل والتعرض لأهم آراء وأفكار عطية سليمان حولهما، السؤال المطروح كيف قابل الباحث الاستعارة بين البعد التداولي والعرفاني؟ ولماذا قابل بين الاستعارة والسخرية؟

---

[1]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص162

* الجسم الثفني: هو بمثابة قوس كبير من المادة البيضاء، يوجد به ألياف يجري إسقاطه بين كلا نصفي كرة المخ بطريقة منظمة.

[2]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص161

قابل عطية سليمان بينهما لأن كلاهما عبارة كلامية وكل منهما يقوم على عمليات ذهنية ومن جهة أخرى يختلفان أي أن بينهما نقاط اختلاف والتقاء فكان هذا السبب دافعا للمقارنة بينهما، يقول عطية سليمان:" جمعنا بين الاستعارة والسخرية في مقاربة تداولية عرفانية للآتي:

1- يتم معالجتهما في مكان واحد في الدماغ هو الشق الأيمن منه.

2- يوجد تشابه بينهما في عملية الفهم والمعالجة وآلية إبداعهما .

3- تم تفسيرهما في ضوء النظرية التداولية والعرفانية وغيرهما.

4- يحققان تواصلا لغويا وغير لغوي بين أفراد المجتمع.

5- يتدرج فهمها، فالاستعارة بالدرجة الأولى والسخرية بالثانية. "[1]

أما بالنسبة لنقاط الاختلاف بينهما، فكل من الاستعارة والسخرية يعبران عن غير المعنى الحرفي الذي ينطق به المتكلم، بالإضافة إلى أن " السخرية تضليل وإخفاء للغاية منها خلف معناها الحرفي، مما يجعل المتلقي يبحث عن الغاية المتخفية خلف معنى العبارة الحرفية، أما العبارة الاستعارية فتعرض في وضح مقابلة بين شيئين بينهما نقطة التقاء وتشابه لنفهمها فورًا"[2].

فالسخرية تحتاج إلى إعمال ذهني كبير لفهمها ومعرفة قصد المتكلم أكثر من الاستعارة لذلك كانت الاستعارة في الدرجة الأولى والسخرية في الدرجة الثانية بناء على العمليات الذهنية التي تحدث في الحالتين.

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص8

[2]- نفسه، ص145

والسؤال المطروح كيف رأى الباحث كلا من الاستعارة والسخرية في ضوء التداولية والعرفانية ؟

فكلا العبارتين يعبران عن حالة خاصة بالمتكلم أُعجب بشيء فاستخدم الاستعارة وكره شيء فلجأ لسخرية منه، ومن ثم تأتي النظريتان لتفسرهما فلكل منهما رؤية خاصة، فالعرفانية ركزت على العمليات الذهنية التي تحدث عند فهم وإنتاج الاستعارة وكيف يستطيع كل من المتكلم والمتلقي بناء تصور لها في الذهن من خلال مجال آخر كان مخزنا في ذهنه (الفضاء الذهني)، بينما ركزت التداولية على قصدية المتكلم، وكيف يفهم كل منهما الآخر؟ و ما دور السياق في ذلك؟

فكلا النظرتين يكملان بعضهما البعض بتفسير جانب معين منهما، فما أغفلته العرفانية ولم تستطع تفسيره عوضته التداولية وسدت الفجوة، لذا فالجمع بين النظرتين معا يعطينا فهما أكبر وأعمق وأشمل، وخير مثال على ذلك مثال (طبيب جزار) الذي فسرته العرفانية فبينت كيف يستطيع المتلقي بناء صورة لهذه الاستعارة من خلال نظرية المزج المفهومي وكيف أن المتلقي فهم معنى الفشل من خلال الجمع بين شيئين في فضائه الذهني، ولكن بالمقابل لا نستطيع الحكم على معنى عبارة (طبيب جزار) أنها تعني الفشل فنحن لا نعرف قصد المتكلم وماذا يريد أن يقول فقد يقصد معنى غير الفشل ولا نعرف حقيقة معنى العبارة إلا من خلال السياق الذي قيلت فيه، " يقدم الثنائي براندت السياق التالي للتلفظ باستعارة (طبيب جزار) : امرأة في المستشفى تكتشف، بعد أن قامت بعملية جراحية، أن أثر الجراح ظاهر وقد شوه جزءا من جسدها، وفي سياق حديثها إلى زائرها (زوجها) تقول له (الجراح جزار)، في هذا الإطار التداولي، الاستعارة تؤدي معنى ضمنيا مفاده انتقاد الجراح أخلاقيا وتأنيبه ولومه على تركه أثرا على جسدها، ويمكن للمخاطب أن

يستنتج أنها تريد أن تتبين ردة فعل زائرها مما جرى لجسدها كأن يبلغها أن أثر الجرح لا يؤثر على جمالها، ولن يغير نظرته إليها."[1]

فمعنى العبارة هنا ليس الفشل لأن العملية ناجحة بل هو لوم الطبيب على الأثر الذي تركه وكأنه لم يقم بعمله بعناية، وربما تقصد شيئا آخر وهو أن تعرف ردة فعل زوجها على ما جرى لجسدها وأن هذا لا يؤثر على جمالها ولا نظرته إليها، فهي كلها استنتاجات يفهمها المتلقي من خلال السياق الذي ترد فيه، فيمر المتلقي بخمس مراحل لفهم هذه العبارة وهي:"[2]

- فهم الجملة: فهم عملية الإسناد القائمة بين الجراح والجزار.
- بناء الفضاء الاستعاري: إدراك المخاطب أن الملفوظ استعاري.
- بناء المزج: إدراك المعنى المقصود من التعبير الاستعاري.
- المعنى المنبثق: هو المعنى التقييمي الناشئ عن هذا المزج.
- معرفة الضمنيات التداولية التي تنشأ عن المعنى المزيج والظروف التي حكمت عملية التواصل.

ففهم معاني الاستعارات ومعرفة قصد المتكلم يكون من خلال السياق ولا يمكن للعرفانية تفسير ذلك لا من خلال فهم مجال من خلال مجال آخر ولا حتى بالاعتماد على نظرية المزج، لذلك كان لزاما أن تدخل التداولية لإدراك الجانب الناقص الذي لا تستطيع العرفانية تحليله وهي المعاني التي تصنع في ذهن المتلقي بمراعاة عناصر التداولية المحيطة بالحدث.

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص28

[2]– نفسه، ص 28

وفق التصور الآتي :"[1]

1- فضاء الدخل الأول(فضاء الجراح).

2- فضاء الدخل الثاني (فضاء الجزارة).

3- فضاء تخاطبي(فضاء سيميائي)> فضاء ذهني يتمثل مقام القول.

4- النتيجة (معنى ما فُهم من القول)> المعنى المشترك لملفوظ المتكلم.

هذا التصور يشبه التصور الذي قدمته العرفانية إلا أنه يخص الجانب التداولي فاقتراح الثنائي براندت هذا التصور، حيث افترض وجود فضاء سيميائي تصوري يدخل إليه الفضاءان(فضاء الجراح+ فضاء الجزارة) ومن ثم يتم المزج بينهما مع مراعاة عناصر التداولية(السياق التواصلي الذي يحيط بالعبارة) لينتج في أذهاننا المعنى المراد إيصاله.

فعطية سليمان تعامل مع الاستعارة في إطار العرفانية على أنها عملية ذهنية (لدينا سياق عرفاني يحيط بالأفضية الذهنية)، بينما في التداولية اعتمد على السياق المحيط بالعبارة (سياق تداولي يحيط بالحدث) ليقدم لنا رؤية شاملة لفهم الاستعارة من كل جوانبها.

أما بالنسبة للسخرية فهي لم ترتبط كثيرا بالعرفانية كما ذكرنا آنفا بل ارتبطت أكثر بالتداولية فهي تمثل نموذجا مثاليا للظاهرة التداولية، فجوهر السخرية يكمن في عدم التطابق بين ما يقال حرفيا وما يقصد ضمنيا في سياق تواصلي محدد، وهذا هو صلب اهتمام التداولية، والسياق لا يحدد فقط المقاصد ويفهم المعاني بل إنه يتحكم حتى في تحديد ما إذا كانت العبارة سخرية أو استعارة ومثال ذلك(هذا واحد حاد جدًا)، فإذا قيلت هذه العبارة في" سياق كوصف لسلوك فرد ما، فإنها استعارة

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص29

استعرنا فيها حد السيف لنصف شدة هذا الفرد، وإذا قلناها في سياق آخر لوصف فرد ضعيف فعلا، فيكون معناها السخرية من ضعفه"[1]، والذي يتحكم في ذلك هو السياق وقصدية المتكلم.

فماذا أضاف عطية سليمان من خلال دراسته للاستعارة والسخرية في إطار النظرتين؟

قدم عطية سليمان لنا شيئا جديدا وهو الجمع بين الاستعارة والسخرية في مقابلة تداولية عرفانية وميز بينهما، حيث أبان و أوضح لنا التكامل بين النظرتين وكذلك حدد لنا المناطق المسؤولة عنهما في الدماغ وكيفية إنتاجهما بالاعتماد على علم الأعصاب، كما أبان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما من العديد من الجوانب.

2-2 قضية الاستعارة و السخرية بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي :

يعتبر المعنى الحرفي والمجازي جوهر كل من الاستعارة والسخرية، وفي هذا السياق يبرز الباحث عطية سليمان حيث عرض للمعنى الحرفي والمعنى المجازي للاستعارة في إطار النظرتين من خلال عرض وجهة نظر بعض من علماء التداولية والعرفانية، فما المقصود بالمعنى الحرفي والمعنى المجازي؟ وما هي وجهة النظر التي قدمها كل من علماء التداولية والعرفانية؟ وأيهما أقرب إلى المعنى الحرفي وأيهما أقرب إلى المعنى المجازي؟

يجعل عبد القاهر الجرجاني الكلام على ضربين: " ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده و ذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص145

*الفضاء السيميائي: فضاء تصوري عرفاني ينشأ ، في دماغ المتكلم، يجمع فيه بين فضاء الجزار وفضاء الجراح ويمزج بينهما ليصنع فضاء ثالث، ويحدد كذلك الإطار التخاطبي.

على الحقيقة. فقلت: خرج زيد... وضرب آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده. ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض."[1] كقولنا رأيت أسدا في المعركة فتعلم أنني لم أرد السبع وإنما هو مجرد تشبيه ومبالغة في الكلام، فكلمة أسد اكتسبت معنى جديد غير المعني الحرفي لها والذي أكسبها ذلك هو السياق، ومن ذلك يمكن القول أن المعنى المجازي هو " أن تكسب الكلمة معنى جديدا باستعمالها لشيء جديد أو فكرة جديدة."[2] نحو إكسابنا كلمة (أسد) معنى الشجاعة.

أما المعنى الحرفي فهو المعنى الذي لا نصل إليه بواسطة ويكون معناه مطابقًا للفظ في الأصل ولا يزيد ولا ينقص، أي هو المعنى الذي تدل عليه الكلمات حقيقة.

ومن ذلك يمكن القول أن السخرية أقرب إلى المعنى الحرفي لأنه لا مجاز فيها فهي تقوم على حقيقة العبارة وتفهم على أنها سخرية من خلال ذكاء وانتباه المتلقي، في حين نجد الاستعارة أقرب إلى المعنى المجازي لأنها مجازية نتجاوز فيها المعنى الحقيقي (المعنى الحرفي)، فكيف نميز بين المعنيين؟ وما هو تصور علماء التداولية والعرفانية للمعنيين؟

يرى علماء التداولية أن الاستعارة تحمل معنيين معنى حرفي وآخر مجازي من بينهم سيرل، "الذي يرى أن خلف كل استعارة معنيين...معنى حرفيًا ومعنى مجازيًا، الأول موافق لمعنى الاستعارة ذاتها، والثاني موافق للتشبيه."[3]

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المنار، مصر، ط3، 1366هـ، ص202

[2]– ينظر، عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص 83

[3]- نفسه، ص87

فالانتقال من المعنى الحرفي إلى المجازي عنده يقوم على نظرية المشابهة حيث ميز بين نوعين من المشابهة:

أ- **مشابهة دلالية:** تقوم على " الإقرار بأن معنى القول الاستعاري يكافئ التشبيه الموافق له أو يتضمنه بطريقة أو بأخرى، مثل أشيل أسد و أشيل كالأسد."[1]

أي أن المعنى المجازي للعبارة يكافئ دلاليا التشبيه، فتقترح هذه النظرية استحضار التشبيه الموافق للعبارة لفهم المعنى المجازي كقولنا: أشيل أسد، فنحضر التشبيه الموافق لها (أشيل كالأسد) فنتجاوز بذلك المعنى الحرفي للعبارة لأنه غير منطقي فنفهم أن للعبارة معنى آخر اكتشفناه من خلال التشبيه.

ب- **التشبيه التداولي:** يقوم " على تأويل المتلقي للعبارة... هنا تأتي التداولية لتمنحنا التفسير الصحيح بتحديد المقصود منها، لهذا سماها سيرل التشبيه التداولي."[2]

يرى سيرل أن فهم الاستعارة يكمن في كيفية تأويل المتلقي لهذه العبارة فكيف يؤول المتلقي العبارة؟

يقول سيرل " يتم تأويل الاستعارة بداية على أنها تشبيه، ثم يأتي التأويل الذي يفسر هذا التشبيه، فبين القصد."[3]

مبدئيا يتم تفسير العبارة كتشبيه، فيبدأ المتلقي بجمع الصفات المشتركة بين الطرفين ومن ثم يأتي تأويل العبارة لتحسم التداولية الشبه المقصود الذي يعنيه المتكلم من خلال السياق.

---

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص86

[2] - نفسه، ص 86

[3] - نفسه، ص86

يقول عطية سليمان " إن تصور سيرل يمكننا قبوله على أن للاستعارة معنيين يمكن فهمهما من(التشبيه والتأويل) ."[1]

والسؤال المطروح هل يمكننا اختزال كل أنواع الاستعارات في التشبيه؟ وهل يقتصر فهم الاستعارة دائما على هذين الوجهين؟

فهناك استعارات تتجاور المعنيين إلى المعنى التداولي ولا نستطيع اختزالها في التشبيه كقوله تعالى:{ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} . سورة الكهف، الآية "18". فهل يمكن إرجاع هذه الاستعارة للتشبيه ونفسرها حسب نظرية المشابهة لسيرل؟

إضافة إلى أن العبارة تحمل أكثر من المعنى الحرفي (كلب باسط ذراعيه على عتبة الكهف) والمعنى المجازي(الحراسة)، فهي تجاوزت المعنيين إلى المعنى التداولي وهو الإشارة إلى الصورة المرعبة والمخيفة التي كان عليها الفتية في كهفهم.

وبالمقابل نجد دافيسدون يرفض هذا المعنى المزدوج للاستعارة فهو يرى أن لها معنى واحدًا وهو المعنى الحرفي ينطلق منه المبدع ليخلق معاني جديدة من خلال توسيع الدلالة الحرفية عن طريق الاستعمال فيكون للكلمة عدة دلالات نحو "إكسابنا كلمة كتاب معنى عقد القرآن (في العامية المصرية)، فنقول فلان(كتب كتابه)، أي عقد قرانه، فتكتسب كلمة (كتاب) معنى جديدا"[2]، فالكلمة الواحدة تحمل معاني مختلفة والذي يولد هذه المعاني الجديدة هو الاستعمال التداولي لها فدافيسدون يميز بين دلالة الكلمة في المعجم وفي استعمالها في السياق، فرفض فكرة أن للاستعارة معنيين لأنه من الصعب الفصل بينهما إضافة إلى أن المعاني تتطور

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص87

[2]- نفسه، ص83

وتتغير بسبب الاستعمال، وقد يصبح المعنى الثانوي(المجازي) معنى أساسي(حرفي) لا استعارة فيه كقولنا مثلا(رجل كرسي) فكيف يمكن تحديد المعنى الحرفي والمعنى المجازي في هذه العبارة؟ فهو يرى أن الكلمة التي نستعملها في الاستعارة تحتفظ بمعناها الحرفي المعتاد ولكن طريقة توظيفنا لهذه الكلمة في سياق معين هي التي تخلق التأثير والدلالة التي نفهمها بناء على السياق والمعرفة المشتركة وليس هناك معنى إضافي للكلمة نفسها، كقولنا مثلا (إنه أسد في المعركة) فكلمة (أسد) مازالت تحمل دلالتها الحرفية والذي دفعنا إلى التفكير في دلالات أخرى هو إبداع المتكلم وتمكنه من خلق دلالة جديدة مخالفة لمعناها المعجمي عن طريق السياق الذي استعملت فيه كلمة(أسد) وفهم المتلقي يأتي من قدرته على تفسير هذا الاستعمال في سياقه ويشير دافيسدون " إلى العلاقة بين الاستعارة الإبداعية والمعنى الحرفي، ليبين أن إبداع الاستعارة آت من قدرة المبدع على توسيع الدلالة الحرفية للكلمة، فانطلق دافيسدون من إقرار باستحالة شرح معنى استعارة إبداعية بطريقة مرضية أي بطريقة تستنفد الدلالة كلها...لذا يستحيل شرح معنى الاستعارة الإبداعية بطريقة تجمع كل معانيها فألفاظها متنامية الدلالة، والاستعمال التداولي هو من ينمي دلالتها، فلا يوجد فرق بين قول استعاري وغير استعاري، فالفرق بينهما يسير مع الحد القائم بين الدلالة والتداولية، ففرق الدلالة والتداولية هو الفرق بين معنى اللفظ الحرفي وبين معناه في الاستعمال التداولي، مما يصنع إبداعها"[1].

فما المقصود بالاستعارة الإبداعية؟ وما الفرق بين الدلالة والتداولية في الإبداع الاستعاري؟ وما حجة دافيسدون بعدم وجود فرق بين القول الاستعاري وغير الاستعاري؟

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص89-90

المقصود بالاستعارة الإبداعية هو استعمال المتكلم للكلمات بطريقة حرفية ولكنه يقوم بتوسيع دلالتها ومعناها عن طريق التداول وبالاعتماد على السياق لصنع معاني مبتكرة، مثل قولنا (يد الكوب) لنعبر عن مقبض الكوب فهذا إبداع في الاستعارة، فكل استعمال للكلمة يكون فيه درجة من الإبداع وهي نابعة من قدرة المتكلم على توسيع الدلالة بخلق معاني جديدة إضافة إلى المعنى الأصلي بالاعتماد على الاستعمال التداولي فنستعير الكلمة لإبداع استعارة جديدة، وانطلاقا من هذا يرى دافيسدون استحالة شرح الاستعارة الإبداعية لأنه قد يأتي مبدع آخر ويضيف إليها معنى جديد، كقولنا مثلا رأس الدولة فهي تشير إلى المسؤول الأول وقولنا رأس السنة والتي تدل على بداية السنة فهل كلمة رأس تقف عند هذين المعنيين فقط؟ طبعا لا فكل يوم تتولد معاني جديدة للكلمة وهذه المعاني الجديدة لا تكون نتاج تغيير المعنى الحرفي للكلمة في المعجم بل نتاج توسيعنا للدلالات من خلال استعمالنا لهذه الكلمة في سياقات مختلفة وهو ما يصنع الدلالات المتعددة لذلك قال ديفسيدون يستحيل شرح استعارة إبداعية بطريقة تجمع كل دلالتها لأنه لا يوجد حد (غير متناهية) لدلالة الاستعارة الإبداعية، فالمتكلم يستطيع إبداع دلالات غير لغوية من خلال استعماله للغة فهو يحتفظ بالشكل الحرفي للكلمة ومن ثم يبدع منه معنى جديد بدليل أن الكلمة لا تأخذ معناها من ألفاظها بل من الاستعمال فتنطلق عملية الإبداع في ذهن المتكلم لذلك لا يجيز ديفسيدون شرحها لأن شرحها يحد ويقصر معنى الكلمة على معنى واحد ويهمل المعاني الأخرى الكثيرة غير متناهية الذي يصنعه الجانب التداولي.

ويعود سبب رفض دافيسدون لوجود الفرق بين القول الاستعاري وغير الاستعاري إلى عدم وجود معنى مجازي فالاستعارة لا تحمل معنى مختلف عن المعنى الحرفي للكلمات ولكن السياق والاستعمال هما من يخلقان فهما مختلفا، لذلك

فهو لا يقر بهذا إلا في الحد الفاصل بين الدلالة والتداولية أي الفرق بين معنى كلمات الاستعارة في اللغة وبين معنى الكلمة في الاستعمال، حيث يكون لها معاني أكثر في الاستعمال مقارنة بالمعنى المعجمي، فالتداولية تركز على كيفية استعمال الكلمات في سياق معين لإبداع استعارة جديدة، بينما الدلالة تعتمد على المعنى الحرفي(دلالة معروفة)، فالمعنى والتأثير الحقيقي للاستعارة يكمن في كيفية استعمالنا لها في التواصل في مواقف معينة تعبر عنها مما يمنحها قوة الدلالة.

خلاصة القول فإن الاستعارة عند دافيسدون هي استعمال الكلمات بطريقة إبداعية بمعناها الحرفي في سياقات معينة مما يولد معاني جديدة تكون نتاج هذا الاستعمال المبتكر وبذلك يكون للاستعارة معنى واحدًا وهو المعنى الحرفي وباقي المعاني متطورة عنه، فالاستعارة عنده " قضية تداولية متعلقة بالاستعمال... وهي في رأيه ذات دلالة وحيدة، وتأثيراتها غير ثابتة، بل متغيرة من فرد لآخر... متعلقة باستعمال الكلمات، فالاستعارة ليس لها قول شارح لأنها، من جهة، ذات دلالة وحيدة، ولا جدوى من شرحها، ومن جهة ثانية، تأثيراتها، هي في الآن نفسه، غير ثابتة متغيرة من شخص لآخر."[1]

بالرغم من اختلاف فكرة النظرتين إلا أنهما تقدمان رؤية قيمة حول الاستعارة وعلاقتها بالمعنى الحرفي والمجازي، ففكرة سيرل بوجود معنيين تساعدنا على فهم الاستعارة و تفسر لنا كيفية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المجازي، بينما دافيسدون سلط الضوء على الجانب التداولي في الاستعارة حيث أبرز لنا قوة الاستعمال وتأثيراته في خلق استعارات جديدة تتجدد وتتطور بسبب الاستعمال وتختلف من شخص لآخر، ففكرة سيرل تبدو أقرب إلى كيفية معالجة أذهاننا

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص93

للاستعارات لأننا دائما نفكر بوجود معنى حرفي ومعنى ضمني متخفِ في العبارة نبحث عنه.

وأخيرا يمكن القول أن عطية سليمان تمكن من عرض النظرتين وتحليلهما مبينا أوجه الاختلاف بينهما، كما تمكن من المقارنة بين النظرتين وأوضح فكرة ورأي كل نظرية ليخرج بفكرة مفادها أن علماء التداولية ركزوا في دراستهم على السياق والمشابهة بين المعنيين الحرفي والمجازي، فما هو رأي علماء العرفانية حول هذه القضية؟ وهل يوجد لهم رأي مخالف مختلف عن رأي التداوليين؟

من أهم علماء العرفانية الذين اهتموا بقضية المعنى الحرفي والمجازي بول ريكور، فكيف نظر هذا الأخير إلى هذه القضية وكيف ربطها بالاستعارة؟

يرى بول ريكور أن التوتر بين المعنيين هو من يصنع الاستعارة يقول أن:" التوتر في القول الاستعاري... في حقيقته توتر بين تأويلين متعارضين."[1]

ويقصد به أن الاستعارة تقوم على التأويل الحرفي والمجازي فهذان التأويلان يبدوان في البداية متعارضين أو غير متوافقين مما يسبب توترًا معرفيًا يدفعنا إلى البحث عن معنى جديد، وهذا التوتر يكون نتيجة عدم اقتناعنا بالمعنى الحرفي و إدراكنا بوجود معنى أعمق وهذا هو جوهر التوتر عند ريكور.

كقولنا مثلا(الزمن شحاد) فعند سماعنا هذه العبارة نشعر بشيء من الغرابة ونلاحظ عدم التوافق بين الكلمتين فالزمن شيء مجرد يشير إلى مرور الوقت وتتابع الوجود، في حين نجد كلمة (شحاد) تشير إلى شخص فقير يطلب المال من الناس ولا يمكن أن يكون الوقت شحادا، فالمفهومين متباعدين كليا وهذا ما يخلق توترًا في

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص97

العبارة وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن المعنى المجازي لإيجاد علاقة أو صفة مشتركة بينهما.

لهذا يجب ألا نأخذ بالمعنى الحرفي للكلمة بل بتأويلها، أي بتفسيرها وفهم المقصود منها، فالاستعارة :" لا توجد في ذاتها بل في التأويل...ونستطيع بفضله أن نستخرج المغزى حيث يكون التأويل الحرفي بلا مغزى حرفي."[1]

وبما أن هذا التأويل الحرفي لم يقدم معنى مفهوما نلجأ إلى تجاوزه للبحث عن معنى آخر فنبدأ بالبحث عن الروابط المشتركة بين الوقت وشحاد مما يتطلب منا استحضار جميع صفاتهما ومحاولة إيجاد أشياء مشتركة فنحاول إسقاط صفات الشحاد (الفقر، عدم امتلاك شيء، الاستمرار في التسول...) على الزمن، فقد تشير العبارة إلى أن الزمن يأخذ منا ولا يرتوي تماما مثل المتسول، والذي يحدد ذلك هو السياق الذي ترد فيه.

ومن ذلك يمكن القول أن فهم الاستعارة عند بول ريكور يبدأ بإدراكنا للتوتر الدلالي (عدم الملاءمة بين الكلمات الحرفية ومعناها)، ومن ثم نقوم بعملية التأويل لنفهم مقصود العبارة.

ركز بول ريكور في كيفية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المجازي لفهم الاستعارة على التوتر الذي يصنعه فشل المعنى الحرفي لنتنبه لوجود معنى مجازي ولكن كيف يمكننا تحديد وقياس هذا التوتر ؟ وهل كل الاستعارات بالضرورة تحدث توترا؟ وهل دائما يكون هناك فشل في المعنى الحرفي؟

[1]- عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص97

فهناك استعارات لا يكون فيها توتر ولا يفشل معناها الحرفي بل قد يكون نقطة انطلاق لفهم المعنى المجازي، كقوله تعالى: {الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }. سورة إبراهيم، الآية "1".

فشبه (الظلمات) بالضلال و(النور) بالهدى فذكر المشبه به (الظلمات، النور) وحذف المشبه به.

بالإضافة إلى أن الثقافة المعرفية قد تسهم في تسهيل فهم بعض الاستعارات مما يقلل من حدة هذا التوتر مثل (رجل الكرسي) فهي استعارة متجذرة في ثقافتنا ونعني بها خشبة الكرسي مما يقلل من التوتر الذي تكلم عنه ريكور.

وفي المقابل نجد رأي ريتشاردس الذي رأى أن :" الاستعارة ليست نقلا معجميا، ولكنها بالأحرى حدث دلالة يهم كل الملفوظ، و إسناد في غير محله (يخرق الشفرة المعدلة للإسناد في الاستعمال العادي)، وحركية دلالية يستوجب تحليلها في الملفوظ بكامله(إنها قصيدة مصغرة)"[1].

فهذا الأخير لم يخرج عن آراء سابقيه فهو يرى أن الاستعارة ليست نقلا للكلمات بل هي عملية تفاعلية يتم فيها تفاعل الكلمات مع سياقها لتشكيل معاني فلا يوجد عنده معنى حرفي ثابت لأن السياق يؤثر فيه فيغير معناه، وقد نجد تشابها بينه وبين ريكور ففكرة التوتر لديه قد تتوافق مع حركية دلالية لريتشاردس وهذان الأخيران لا ينتجان من فراغ فالسياق هو الذي يصنعهما، وبالمقابلة بين العناصر التي عرضها عطية سليمان يتبين تقاربهما في الرأي والتصور، لكن بالرغم من تعرض عطية سليمان لعلماء بارزين في كلا المنظورين وإبراز وجهات نظرهم إلا أنه تعرض

[1] – عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص10

لهذه الآراء دون تحليل نقدي أو تقييم لأفكارهم قد يؤثر على عمق وشمولية معالجة هذه القضية.

ومن ذلك يمكن القول أن كلا من التداولية والعرفانية تجاوزا النظرة التقليدية للاستعارة التي تقوم على عملية نقل الكلمات، فهي في نظرهم عملية معقدة تبدع من المعنى الحرفي لتصنع معاني جديدة.

أما بالنسبة للسخرية فعطية سليمان لم يتناول المعنى الحرفي والمجازي لها في كلا النظرتين واكتفى بالحديث عنهما بشكل عام ومختصر، بالرغم من أنها تعتبر نوعا من أنواع المجاز وتحمل معنيين مثلها مثل الاستعارة، فالمتداول والمعروف لدى الجميع أن المجاز يعني أن تحمل العبارة معنى إضافي إلى جانب معناها الحرفي وهذا ينطبق على السخرية، فالمتكلم يتلفظ بمعنى حرفي ولكنه في الحقيقة يلمح لمعنى آخر، فكيف يتم الانتقال من المعنى الحرفي إلى المجازي في السخرية؟

يعرف أتاردو السخرية في قوله:" إن السخرية هي ألفاظ غير ملائمة للسياق غير أنها على صلة به."[1]

كقولنا مثلا عن شارع متسخ ومليء بالنفايات يا له من شارع نظيف وهو عكس ذلك تماما، فالألفاظ التي ذكرناها لا تتناسب مع السياق ولكنها على صلة به فعند سماع المتلقي هذه العبارة يعرف أنها خاطئة وغير منطقية، فكيف ينتقل المتلقي إلى المعنى المجازي؟

[1]- مشاري عبد العزيز الموسى، أسلوب السخرية نظرياته و إشكالياته، ص211

وضع جرايس مرحلتين يمر بهما المتلقي عند سماع السخرية فيقوم" المتلقي أولا برفض تقبل المعنى الظاهر لعلمه أن المتكلم قد خرق السائد، ثم يقوم ثانيا بالبحث عن معنى بديل."[1]

وتبعا لذلك يمكن القول أن عملية فهم السخرية تبدأ أولا برفض المعنى الحرفي (المعنى المتبادر إلى الذهن) لعدم مناسبته للواقع، ومن ثم الانطلاق في البحث عن المعنى المجازي بالاعتماد على السياق.

وكذلك يمكن تفسير كيفية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المجازي بالاعتماد على مبدأ التعاون الذي وضعه جرايس بخرق إحدى القواعد الأربعة التي وضعها، ففي اعتقاده أن أغلب الحوارات بين المتكلم والمتلقي تجري وفق هذه المبادئ وأي خرق لها يثير شك لدى المُخاطَب فيسعى إلى معرفة الهدف من هذا الانتهاك، وبذلك ينتقل من المعنى الحرفي إلى المجازي، كقولنا مثلا لشخص يرتدي ثيابا متسخة إن ثيابك نظيفة جدا فيفهم أنها سخرية منه، فنحن اخترقنا مبدأ الكيف (لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح) فينتقل المتلقي من المعنى الحرفي إلى المجازي بناء على هذه المخالفة.

مثال آخر حول خرق مبدأ الكم كأن يسألنا أحد ما عن حالة الجو فنقول يا له من جو جميل، الشمس مشرقة وحارة، والطيور تغرد و السماء صافية... فهذا الرد المبالغ فيه الذي قدم معلومات أكثر من اللازم قد يوحي أن الجو سيء وليس كما تم وصفه وبذلك ينتقل المتلقي إلى المعنى الضمني الخفي.

أما في إطار العرفانية فيمكن أن نفسر السخرية بالاعتماد على نظرية التظاهر التي طرحها كل من هيربيرت كلارك(HERBERT CLARK) و ريتشارد

[1]- مشاري عبد العزيز الموسى، أسلوب السخرية نظرياته وإشكالياته، ص201

جيري ،(RICHARD GERRIG)، حيث يرى كلاهما " أن المتكلم في أسلوب السخرية يتظاهر بأنه إنسان مغفل(في غفلة من أمره)، وعلى المتلقي أن يكتشف هذا التظاهر. والسؤال المطروح هنا: بأي شيء يتظاهر المتكلم؟"[1]

كقولنا مثلا يا لها من غرفة نظيفة ومرتبة عن غرفة فوضوية ومتسخة فالمتكلم هنا يتظاهر بأنه مغفل، وكأنه لا يرى حالة الغرفة من حوله من أوساخ وأغراض متناثرة هنا وهناك، فيحاول المتلقي اكتشاف هذا التظاهر بناء على "الأرضية المشتركة التي يتقاسمها مع المتكلم الساخر."[2]

أي أن المتلقي يستطيع فهم المقصود من العبارة الساخرة بسهولة لأنه على معرفة مشتركة مع المتكلم بحالة الغرفة(الأرضية المشتركة)، فيربط العبارة الإيجابية بالأرضية المشتركة(غرفة فوضوية ومتسخة) فيستخرج المعنى الساخر، وفهم المتلقي لهذه السخرية يعتمد على"العلاقة الذهنية التي تربطه بالمتكلم الساخر... فإذا اختفت هذه العلاقة بينهما، فإن السخرية قد لا تفهم أنها سخرية".[3]

بمعنى يجب أن تكون هناك مجموعة من المعارف والافتراضات تربط بينهما حتى يتمكن من فهم السخرية، كإدراكهما مثلا أن التعابير الوجهيه ونبرات الصوت المستفزة تدل على السخرية، وأن يكون كلاهما على معرفة مشتركة بالسياق ودرايتهما أن المدح لوصف شيء سلبي يكون سخرية...فكل هذه المعارف تسهم في تأسيس هذه العلاقة الذهنية بينهما مما يسهل فهم السخرية.

فالسخرية عملية معقدة تعتمد على الأرضية المشتركة بين المتكلم والمتلقي والانتقال من المعنى الحرفي إلى المجازي يعتمد عليها، فإذا كانت هذه الأرضية

---

[1]- مشاري عبد العزيز موسى، أسلوب السخرية نظرياته و إشكاليته، ص 205

[2]– نفسه، ص 205

[3]– ينظر، نفسه، ص 205– 206

معروفة ومفهومة لدى الطرفين سهل على المتلقي الانتقال إلى المعنى المجازي، في حين إذا كانت هذه الأرضية ضعيفة قد يصعب فهم السخرية و قد لا يتوصل المتلقي إلى المعنى الحقيقي للعبارة(المعنى المجازي).

فالذي يستشف مما سبق أن كلا من التداولية والعرفانية اعتمدتا في تفسيرهما للمعنى الحرفي والمجازي في السخرية على السياق والمعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي.

2-3 قضية المقابلة بين الاستعارة والسخرية:

نسلط الضوء على قضية مهمة وجديدة وقف عندها عطية سليمان في كتابه و هي المقابلة بين الاستعارة والسخرية، فقد كشف عطية سليمان عن نقاط التقاطع والاختلاف بين المفهومين، فما هي أبرز نقاط التشابه التي قدمها عطية سليمان؟ وفيما تكمن الاختلافات الجوهرية بينهما؟

أبان عطية سليمان أوجه التشابه بينهما من جوانب عديدة معتمدا في ذلك على علم الأعصاب، و قصدية المتكلم، و القدرات الذهنية لكل منهما ... وبيان ذلك فيما يلي:"[1]

[1]- ينظر، عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص142-143- 144-145-146

أ- أوجه الاختلاف:

الاستعارة	السخرية
يقوم المتلقي بتنشيط آليات المشابهة بين العنصرين لفهم قصد المتكلم.	يعتمد المتلقي على التناقض الظاهر بين العبارة وسياقها ليدرك قصد المتكلم.
الاستعارة تحتاج إلى نظرية من الدرجة الأولى، لأن المتلقي لا يحتاج إلى مستوى كبير من التفكير لفهم الاستعارة لأنها تقوم على شيئين متشابهين بينهما علاقة يكتشفها السامع بسهولة.	السخرية تحتاج إلى نظرية من الدرجة الثانية لأنها تحتاج إلى إعمال ذهني أكبر من الاستعارة، فالمتلقي يفكر بعمق ليفهمها لأنها تأتي بمعناها الحرفي وعليه اكتشاف القصد بالاعتماد على ذكائه.
الاستعارة تكون واضحة لأنها تقابل بين شيئين بينهما نقطة التقاء فنفهم فورا.	السخرية فيها تضليل وإخفاء للمعنى الحرفي وهذا يتطلب منا وقتا لاستيعابها.
تهدف الاستعارة إلى وصف شيء بالاعتماد على المشابهة بين شيئين.	الغاية من السخرية هي السخرية.
العلاقة بين المعنى الحرفي والمجازي علاقة تكامل لأن الاستعارة تقوم على المشابهة.	العلاقة بين المعنى الحرفي والمجازي علاقة تضاد وتعارض لأن السخرية تقوم على تأكيد شيء خاطئ.
إدراك الاستعارة وفهمها يعتمد على المشابهة.	فهم السخرية وتفسيرها يكون بإدراك التناقض بين السياق وكلام المتكلم.

ب- أوجه التشابه بينهما:

- كلاهما تجاوز للمعنى الحرفي وانتهاك له.
- كلاهما يحملان معنى ضمني خفي.
- يعالجان في الشق الأيمن من الدماغ.
- يعتبران وسيلتين للفهم والإفهام وخلق معاني جديدة.

تعرض عطية سليمان لأهم نقاط الاختلاف والتشابه بين الاستعارة والسخرية بطريقة موجزة، حيث يمكن اعتبار هذه المقارنة نقطة انطلاق لفهم العلاقة التي تجمع بينهما، إلا أن بعض النقاط التي طرحها عطية سليمان تستدعي تدقيقا وتحليلا أكثر ليس بهدف التقليل من أهميتها بل سعيا في مناقشة هذه النقاط بالتفصيل، ذكر عطية سليمان في كتابه أن من أوجه الاختلاف أن الاستعارة لا تحتاج إلى مستوى كبير من التفكير بعكس السخرية ولهذا تحتاج الاستعارة إلى نظرية من الدرجة الأولى والسخرية تحتاج إلى نظرية من الدرجة الثانية.

والسؤال المطروح هل جميع الاستعارات تكون سهلة الفهم والتحليل؟ وهل جميع أنواع السخرية تحتاج إلى إعمال ذهني كبير؟

فقد نجد أنواعا من الاستعارات تكون معقدة ويصعب فهمها وتأخذ منا مجهودًا ذهنيًا كبيرًا لفهمها وتحليلها، كقول الشاعر في قصيدة الأرض اليباب:"[1]

نِيْسَان أَقْسَى الشُهُور، يَخْرُجُ

اللَيْلَك مِنَ الأَرَضِ المُوَات، يَمْزِجُ

الذِكْرَى بالرَغْبَة، يُحَرِك

[1]- عبد الواحد لؤلؤة، الأرض اليباب، المؤسسة العربية، بيروت، ط3، 1995، ص36.

خَامِلَ الجُذُور بِغَيْث الرَبِيْع.

فهل من السهل فهم استعارة (نيسان أقسى الشهور)، ولا نحتاج فيها إلى إعمال ذهني كبير لفهم القصد منها؟

فالشاعر يخالف المنطق والمعتاد، شهر أفريل (نيسان) معروف بفصل الربيع فهو يرمز إلى الأمل والتجديد وعودة الحياة، فكيف يكون أقسى الشهور؟

فالشاعر يشبه الربيع بشيء قاسي، فذكر المشبه(الربيع) وحذف المشبه به (شيء مؤلم) وأبقى على لازمة من لوازمه القسوة على سبيل الاستعارة التصريحية فهي استعارة عكسية تجعلنا نفكر بعمق لفهم ما خلفها، فغالبا ما يكون الربيع بداية للحياة ورمزا للأمل والتجديد، ولكن الشاعر يعكس هذه الصورة ليعبر عن حالة الحياة بعد الحرب العالمية الأولى وأنها أصبحت يبابا لا حياة فيها، فعودة الحياة في الربيع قد لا تكون كذلك عنده مقارنة بالواقع القاحل والمحطم الذي يعيشه، و بداية الربيع التي تدل على الأمل ليست كذلك عنده بل هي بداية تذكره بالألم والفقد والشعور باليأس في الحياة، فهل هذه الاستعارة لا تحتاج إلى مستوى كبير من التفكير لفهمها؟

وفي المقابل نجد السخرية كقولنا مثلا يا له من جو ممطر في جو مشمس فهذه السخرية سهلة وبسيطة ويمكن فهمها بسرعة دون الحاجة إلى تفكير كبير.

ومن ذلك يمكن القول أن كلا من الاستعارة والسخرية تتدرجان في درجة السهولة والصعوبة، لذا فالقول بأن الاستعارة تتطلب دائما وقتا أقل من السخرية في الفهم قد يكون تعميما مفرطا ولا يراعي تنوع واختلاف وتعدد أشكال كل منهما، لذلك كان على عطية سليمان ألا يركز على الجهد الذهني المبذول في كليهما، ونقترح بدلا من ذلك التركيز على كيفية معالجة المتلقي للاستعارة والسخرية، ففي الاستعارة يعتمد

المتلقي على الربط بين المفاهيم المتشابهة لفهمها، بينما في السخرية يعتمد على المعالجة المزدوجة للعبارة أي فهم المعنى الحرفي ومن ثم اكتشاف المعنى الخفي.

ومن الاختلافات التي ذكرها أيضا أن "الاستعارة تكون واضحة، بعكس السخرية يكون فيها تضليل وإخفاء"[1]، وهذا لا يكون دائما فقد نجد استعارات غامضة وغير واضحة إذا كانت مبتكرة وجديدة، كقول الشاعر محمود درويش:"[2]

سَقَطَ الحِصَانُ مِنَ القَصِيْدة

و الجَلِيْليّات كُنَّ مُبَلّلاتٍ

فهل هذه الاستعارة واضحة؟ بل إنها في غاية الغموض والإبهام وتحتاج إلى فك الشفرة الموجودة بين المشبه والمشبه به.

كما أن السخرية لا تحمل في كل الحالات تضليلاً وإخفاءً ففي كثير من الأحيان تحمل تلميحات وإشارات واضحة يفهمها المتلقي كنبرة الصوت، والمعرفة المشتركة، والتضاد بين ما يقال والواقع يسهل أيضا عملية الفهم كقولنا مثلا (كان امتحانا سهلا جدا) عن امتحان صعب مع نبرة صوت وملامح توحي بصعوبته يسهل على المتلقي إدراك المعنى الحقيقي.

فليست كل الاستعارات واضحة بشكل مباشر، وليست جل السخرية تحتوي على تضليل وإخفاء فكلاهما يتفاوتان بين الوضوح والإخفاء ولا يمكن أن نطلق حكما نهائيا بوضوح الاستعارة وإخفاء السخرية، وبدلا من ذلك يمكن أن نقترح بديلا للتمييز بينهما بالاعتماد على المعنى الحرفي والمجازي، فنقول أن الاستعارة تعتمد على

[1] - ينظر، عطية سليمان، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص178-145

[2] – محمود درويش، الأعمال الكاملة، مكتبة الإسكندرية، ص461

التوسع الدلالي أي أن الاستعارة تتكون عندما نضيف للكلمة معنى جديدًا غير معناها الأصلي بإدراجها في سياقات جديدة، في حين أن السخرية تعتمد على الانعكاس الدلالي فنستخدم لفظا بمعناه الحرفي للدلالة على نقيضه.

2-4 قضية الاستعارة والسخرية في النظريات الحديثة:

سعت العديد من النظريات إلى تقديم تفسيرات لكيفية فهم وإنتاج كل من الاستعارة و السخرية، وليس ذلك فحسب بل حاولت تفسير قدرة المتلقي على اختيار معنى واحد من بين المعاني المتعددة، من بين هذه النظريات نجد نظرية الارتباط ونظرية القدرات العقلية ونظرية التظاهر، فما هي العلاقة التي جمعت هذه النظريات بالاستعارة و السخرية؟ وهل تمكنت من توسيع فهمنا لها؟

2-4-1 نظرية الارتباط والاستعارة:

نظرية الارتباط تقوم على فكرة تفسير المعاني المختلفة للعبارة، وكيف يربط الدماغ جميع معاني الكلمة عند سماع كلمة معينة، وكيف يختار السامع احتمالا ويقصي آخر؟ حاولت هذه النظرية إيجاد تفسيرات لها من خلال تسليط الضوء على العديد من الجوانب.

نظرت نظرية الارتباط إلى الاستعارة على أنها حديث :" فضفاض يحمل عدة معاني ودلالات يمكن فهمها عن طريق السياق، يصنعها التواصل اللفظي "[1].

وبسبب تعدد الاحتمالات والمعاني المحتملة يكون المتلقي في حيرة من أمره حول المعنى المقصود، ولكي يتوصل إلى المعنى المراد من العبارة المسموعة "يقلبها داخله ليختار منها أقربها لفهمه وواقعها وقناعته...فالحدود الفاصلة بين الكلام

[1]- ينظر، عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص43

المرسل من الصعب تحديدها لجواز حمل العبارة على أكثر من معنى، يقوم السياق بالفصل بينها وتحديدها، مما يوسع دلالتها المعجمية، ويجعلنا نرى الكلمة في المعجم مكبوسة بدلالات عدة: يقوم السياق بالاختيار والتحديد، لتقوم الاستعارة بتوسيعها."[1]

فالمتلقي عندما يسمع العبارة الاستعارية يقوم أولا بتفسيرها في ذهنه ومن ثم يختار المعنى الذي يراه مناسبا بالاعتماد على السياق فيختار معنى ويقصي المعاني الأخرى وهذا الاختيار لا يكون عشوائيا بل تتحكم فيه الصفات البارزة لشيء فيميل المتلقي إلى اختيارها، كقولنا مثلا: (ليلى قمر) فيختار السامع الصفة البارزة وهي الجمال ويقصي الصفات الأخرى(مثل كون القمر كوكبا وفيه صخور...)، وهذا ما حاولت نظرية الارتباط تفسيره من خلال البحث في توقعات السامع وكيفية اختياره للمعنى المقصود من الاستعارة.

قدمت هذه النظرية رؤية جديدة للاستعارة فقط اعتبرتها حديثًا فضفاضًا ينشأ من التواصل اللفظي فركزت على هذه الخاصية في تفسيرها، ولكن هل كل الاستعارات فضفاضة؟

فالاستعارة كما بين كل من جورج لايكوف وجونسون تكمن في " الكيفية التي نُمفهم بها مجالا ذهنيا وفقا لمجال آخر."[2]

مما يؤكد أن الاستعارة لا تبنى على حديث فضفاض، فمبدع الاستعارة يصنعها انطلاقا من روابط تجمع المجال المصدر بالمجال الهدف، فكيف يمكن أن تكون فضفاضة؟ و إذا كانت فضفاضة كيف يستطيع المُخاطِب إيصال المعنى المقصود؟

[1] - عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص45

[2]- جورج لايكوف وجونسون، النظرية المعاصرة للاستعارة، ص6

مثلا قولنا : (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)، فهل هذه الاستعارة حديث فضفاض؟ بالعكس هي استعارة دقيقة ومعبرة وتهدف إلى التركيز على قيمة الوقت واستغلاله، فإلى أي حد يمكننا اعتبار الفضفضة ميزة في الاستعارة ؟

فهذه الميزة لا تعمم على جميع أنواع الاستعارات بل على بعضها فقط.

2-4-2 نظرية الارتباط والسخرية:

ركزت هذه النظرية على الفجوة الموجودة بين المتلقي والمتكلم، فالأقوال "الساخرة دائما تعكس فكرة أو قولا منسوبا لشخص آخر، مع الهدف المتمثل بنقل وجهة نظر منفصلة."[1]

فهي تحاول تفسير السخرية عن طريق التعارض بين ما يقال والواقع، كقولنا مثلا: (يا له من طعام لذيذ) عن طعام سيء، ففهم هذه السخرية يتم من خلال إدراك التنافر، فهي تحاول تفسير السخرية عن طريق التعارض بين ما يقال والواقع، كقولنا مثلا: (يا له من طعام لذيذ) عن طعام سيء، ففهم هذه السخرية يتم من خلال إدراك التناقض بين القول والواقع والافتراضات المسبقة.

فنظرية الارتباط تقوم على الربط بين شيئين، فتفسر الارتباط بين ما يقوله المتكلم وما يفهمه المتلقي، فتفسر الفجوة بين الفهمين، لتلغي الفجوة بينهما وتعارضهما مع الواقع.

2-4-3 نظرية االتظاهر والسخرية:

بالنسبة للسخرية نجد العديد من النظريات التي حاولت تفسيرها، مثل نظرية التظاهر التي رأت أن :" المتكلم الذي ينتج قولا ساخرا، لا يؤدي فعلا كلاميا، بل

[1]– عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص 131

يتظاهر فقط بأنه يفعل ذلك، من أجل التهكم على المتكلمين، الذين يؤذونه أو يأخذونه محل الجد"[1].

نظرية التظاهر ترى أن الشخص الساخر يتظاهر بالتزامه بالمعنى الحرفي ولكن الحقيقة غير ذلك، كتظاهرنا مثلا: أن الشخص قام بخطة عبقرية فنقول له (إنك عبقري) ولكن الحقيقة غير ذلك، فنحن نسخر منه ومن خطته الغبية.

ركزت هذه النظرية على تفسير الفعل الكلامي للسخرية وكيف أن المتكلم يتظاهر بقول شيء وهو يقصد عكسه، والسؤال المطروح هل السخرية تنحصر في الفعل الكلامي فقط؟

الحقيقة أن السخرية تكون بوسائل لغوية وغير لغوية نحو: التعبير بالوجه عن الرضا أو الغضب أو الترحيب، كذا الإشارة باليد والرأس وكلها وسائل سخرية غير لغوية، ولهذا فالسخرية تكون باللفظ وبالصوت والتعابير الوجهية، فكيف يمكن تفسير هذه الأنماط وفق نظرية التظاهر؟

يمكن أن نعمم رؤية هذه النظرية بصورة أكبر ونحاول توسيعها لتشمل العناصر غير اللغوية، تقوم النظرية على فكرة التظاهر بغرض السخرية وهذه الرؤية يمكن تطبيقها على أنماط التعبير غير اللغوية، كأن نتظاهر بإعطاء ملامح القبول والرضا عن شيء سيء، مثلا : نعطي ملامح الرضا والقبول عن طعام سيء المذاق فنظهر عكس ما نريد بغرض السخرية من الطعام، أو الإشارة باليد أو الإيماء بالرأس على أن العمل جيد ولكن الواقع غير ذلك فيكون المقصود الحقيقي خفي وراء الإشارات، فيكون ذلك تظاهرا فقط بالإيجابية ولكن المقصود السخرية.

[1]- عطية سليمان أحمد،الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية ، ص 130

فنظرية التظاهر تمكنت من تفسير جانب غالبا ما يتم تجاهله في التحليل وهو الجانب غير اللغوي، وهذه إضافة قيمة تعزز فهمنا لسخرية من خلال قراءة الإشارات التواصلية المختلفة.

2-4-4 الاستعارة والسخرية والنظرية العصبية:

نقلت نظرية القدرات العقلية كل من الاستعارة والسخرية إلى الدماغ واعتبرتهما عمليتين ذهنيتين،" فجعلت الاستعارة من الدرجة الأولى لأن فهمها يتطلب تجاوز المعنى الحرفي للجملة، أما السخرية فهي من الدرجة الثانية لأنها تقوم على المعنى وضده"[1]، ويتحقق هذا الفهم بالاعتماد على مبادئ التداولية والقدرات العقلية لكل فرد، هنا يظهر الجانب العصبي في نظرية القدرات العقلية وذلك بالنظر إلى ما يحدث في الدماغ من عمليات عقلية عصبية، ففي السخرية يكون الجهد العقلي العصبي المبذول فيه أكبر من الجهد العقلي العصبي المبذول مع الاستعارة، وهي بذلك تميز بين الاستعارة والسخرية من جانب جديد ربما لم يلتفت إليه كثير من الباحثين.

بناء على ما سبق يمكن القول أن كل نظرية من النظريات السابقة قدمت رؤية قيمة في محاولة تفسير كل من الاستعارة والسخرية، بالرغم من النقص الموجود في كل نظرية إلا أن تظافر هذه النظريات مع بعض يعطينا فهما أعمق وأشمل، بدليل أن كل نظرية تغطي الجانب الناقص في النظرية الأخرى مما يقدم رؤية كاملة ومتكاملة حولهما.

[1]– ينظر، عطية سليمان أحمد، الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية، ص132

2-5 نقاط القوة في الكتاب:

- تعتبر هذه أول دراسة جمعت بين الاستعارة والسخرية و أبانت العلاقة بينهما في إطار نظريتي التداولية والعرفانية، حيث قدم عطية سليمان رؤية قيمة أثرت فهمنا لكل من الاستعارة والسخرية ودورهما في الإبداع وخلق معانٍ جديدة.
- وقف عطية سليمان على الآليات المعرفية المعقدة التي تقف خلف فهم وإنتاج الاستعارة والسخرية فجمع بين الدراسات الحديثة والدراسات العصبية الحديثة وهي رؤية قيمة وعميقة لم يتم تناولها من قبل.
- قدم شيئا جديدا حيث وقف على الجانب العصبي لكل من الاستعارة و السخرية وأبان مكان معالجتهما(الشق الأيمن) وهذا لم نجده عند غيره.
- أبان عطية سليمان التظافر الذي صنعته كل من التداولية والعرفانية لفهم وإنتاج الاستعارة وكيف أن كل جانب يعنى بإكمال الآخر.
- اعتمد على نتائج أحدث الدراسات العصبية لإثبات أفكاره.
- نقل السخرية من كونها أداة أدبية إلى الدراسات الحديثة.
- تميز الكتاب بلغة سهلة ودقيقة مما يسهل الفهم.

2-6 مآخذ على الكتاب:

- لم يناقش القضايا جيدا و اكتفى بطرح أفكار .
- قلة الأمثلة التوضحية في بعض القضايا مما يصعب عملية فهمها.
- أعطى أهمية كبيرة لدراسة الاستعارة وفصل فيها في النظرتين بعكس السخرية فقط منحها جزءا صغيرا من دراسته .

- على الرغم من قدم السخرية وتجذرها عبر التاريخ، لم يتم التأصيل لها وتتبع تطورها عبر العصور، لبيان أن السخرية لا تقتصر على علماء الأدب والنقد فحسب، بل تتعداهم لتصبح مجالا خصبا في الدراسات الحديثة.
- لم يقدم عطية سليمان موقفه وآراءه في بعض القضايا التي كان فيها خلاف كقضية المعنى الحرفي والمجازي في الاستعارة.
- افتقار الكتاب إلى تعريف واضح لكل من الاستعارة والسخرية في التداولية في كتاب وسم بالاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية.
- غياب المنظور العرفاني للسخرية، فكان من المتوقع أن نجد شرحا لكيفية إسهام المفاهيم العرفانية في فهم السخرية بالنظر إلى عنوان الكتاب.
- عدم وجود توازن في تناول المنظورين إذ ركز الباحث في كتابه على الجانب التداولي كثيرا.
- لم يميز بين الاستعارة والسخرية في الوضوح والغموض والتضليل.
- أهمل المعنى الحرفي والمجازي للسخرية في جانب التداولية، بالرغم من أنها تحتوي على معنيين مثلها مثل الاستعارة.
- أطلق حكما عاما ومفرطا حول الجهد الذهني المبذول في كل من الاستعارة والسخرية دون مراعاة أشكال كل منهما، فهما يتفاوتان في درجة السهولة والصعوبة.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث، سنعرض لأهم النتائج والأفكار التي أسفرت بها دراستنا في الآتي:

– الاستعارة ذات طبيعة تصورية وما الاستعارة اللغوية إلا تجلٍ من تجلياتها، فهي تبدأ من الدماغ في عملية تصورية ومن ثم تصب في قالبها اللغوي.

– لتحقيق فهم شامل وعميق لكل من الاستعارة والسخرية يجب دراستهما ضمن الإطار التداولي والعرفاني معا، فالعرفانية تختص بتفسير الجانب الذهني، بينما تختص التداولية بجانب الاستعمال(السياق).

– يعتمد مبدع الاستعارة على العديد من الركائز لإبداعها وتفسيرها، كالخيال والعرفانية ومبادئ التداولية.

– تُعالج كل من الاستعارة والسخرية في الشق الأيمن من الدماغ، فيفسرهما الدماغ أولا في شقه الأيسر تفسيرا حرفيا ومن ثم ينقلان عبر الجسم الثفني إلى الشق الأيمن لمعالجتهما.

– السخرية أقرب إلى المعنى الحرفي لأنه لا مجاز فيها، أما الاستعارة فهي أقرب إلى المعنى المجازي لأن أصلها مجاز.

– أصبحت الاستعارة والسخرية مجالا خصبا في الدراسات الحديثة كالتداولية والعرفانية.

– قسمت التداولية عملية الفهم الذهني لكل من الاستعارة والسخرية إلى درجتين فجعلت الاستعارة من الدرجة الأولى لأنها لا تحتاج إعمالاً ذهنيًا كبيرًا بعكس السخرية التي تحتاج إلى تفكير وجهد ذهني وهذا كان سببا في تصنيفها من الدرجة الثانية.

– يعالج المتلقي كلا من الاستعارة والسخرية بطريقتين مختلفتين، ففي الاستعارة يعتمد على إيجاد المشابهة لفهمها، بينما في السخرية يعتمد على التناقض الموجود بين العبارة وسياقها.

– قدمت النظريات الحديثة(نظرية الارتباط، نظرية التظاهر، القدرات العقلية) إضافة قيمة في تفسير الاستعارة والسخرية وكشفت اللثام عن جوانب مهملة أغفلها العديد من الدارسين.

توصيات:

- يمكن إجراء دراسات معمقة بين الاستعارة والسخرية، فالموضوع مازال في بدايته ويحتاج إلى تحليل أكثر ودراسات أعمق وأشمل.
- دراسة وتحليل كلا من الاستعارة والسخرية في ظل النظرية العصبية، فهو موضوع مستحدث لا يزال في مراحله الأولى التطوير، فحسب اطلاعنا لم نجد دراسات شملتهما وتناولتهما في هذا الجانب.
- إجراء دراسات تاريخية لكل من الاستعارة والسخرية لتتبع نمو فكرهما من الدراسات القديمة إلى الحديثة.
- تسليط الضوء على السخرية فهي لم تلق عناية واهتماما كبيرين في الدراسات الحديثة خاصة في إطار العرفانية، لذلك نقترح دراسات في هذا الجانب لفهم كيفية إبداع المتلقي للسخرية، من خلال تسليط الضوء عليها في الذهن من أجل معرفة البُنى التصورية الكامنة وراءها.

يعد موضوع المقارنة بين الاستعارة والسخرية في المنظورين التداولي والعرفاني مجالا خصبا في الدراسات الحديثة، فأقلام الباحثين لم تطرقه بعد فهو لا يزال في بداياته الأولى ويحتاج إلى تنقيب أكثر، وهذا الأمر خلق آفاقا وفرصا أمام الباحثين

المستقبليين المهتمين بهذا المجال البحثي لتطويره واكتشاف أغواره، حيث يمكن للباحثين تناول هذا الموضوع من جوانب عدة من خلال توسيع مجال دراسته فيمكن البحث في كيفية إدراك الاستعارة والسخرية عند الأطفال(كيف ومتى يكتسبونها؟ كيف ينتجوها؟ كيف يطورونها...)، أو حتى يمكن إجراء دراسة مقارنة حول كيفية تناول النظريات التداولية والنظريات العرفانية للاستعارة والسخرية والكشف عن آليات تحليليهما وتفسيرهما في إطار النظريات المختلفة، بل حتى يمكن ربطهما بدراسة في الجانب العصبي لمعرفة كيفية معالجتهما، وغيرها من الدراسات المختلفة التي تفتح وتوسع نطاق الدراسة.

ملحق

ملحق رقم 01:

1- السيرة الذاتية لعطية سليمان أحمد:

1-1- اسمه ومولده و تكوينه العلمي:

هو" عطية سليمان أحمد" ولد في الثاني من شهر جويلية عام 1960 بمدينة الزقاريق في المحافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية من أسرة متواضعة، من أبرز علماء اللسانيات المعروفين في العالم العربي، " له خبرة واسعة في مجال اللغة والترجمة والتعليم فقد اهتم بدراستها وتحليلها حتى توجت جهوده بالعديد من الكتب والأبحاث في هذا المجال"[1]، ويعد أيضا من أبرز علماء اللسانيات العصبية ورائدا فيها فقد تمكن من دمج اللسانيات العصبية بالدراسات اللغوية فألف العديد من الكتب في هذا المجال حتى غدة مراجع أكاديمية في جامعات عربية، تحصل على درجة ليسانس سنة 1982 تخصص لغة عربية من جامعة الزقاريق، ومن ثم شهادة الماجستير سنة 1985 تخصص علم اللغة من الجامعة نفسها، ونال رسالة الدكتورة في الفلسفة سنة 1985 تخصص علم اللغة من الجامعة نفسها أيضا، ملم للعديد من اللغات من بينها الإنجليزية، والفرنسية، واللغات السامية(العبرية، الحبشية، السريانة).

بدأ عطية سليمان حياته العلمية سنة 1982، وهي مرحلة التدريس في الجامعة حيث اشتغل مدرسا بكلية التربية جامعة قناة السويس في تخصص علم اللغة، وفي سنة 2002 أصبح أستاذ مساعد، ليترأس في سنة 2010 قسم اللغة العربية وبعدها نقل إلى كلية العلوم الإنسانية في سنة 2014، شارك في العديد من المؤتمرات من بينها

[1] - ينظر، معجم مصطلحات اللسانيات العرفانية، صالح غليوس، ص383

مؤتمر الإبداع بكلية جامعة المنيا بعنوان(سبل تيسير النحو العربي)، اشتغل عميد ووكيل ورئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية بالسويس.

أشرف على العديد من الرسائل نذكر منها:

- رسالة دكتوراه بعنوان (الجهود اللغوية لعلم الدين السخاوي) مع تحقيقه كتابه في التفسير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فرع الفيوم، للباحث أحمد طه وهبه رضوان.
- رسالة ماجستير بعنوان(روايات الأمثال بين لسان العرب وتاج العروس) بكلية الآداب للبنات بالدمام جامعة الملك فيصل بالسعودية، للباحثة سعاد محمد الحربي.

1-2- مؤلفاته:

ألف أكثر من 28 مؤلف في العديد من التخصصات من بينها:

- اللهجة المصرية بين التراث والمعاصرة (1992) وهي دراسة اهتمت بتتبع اللهجة المصرية وارتباطها بالتراث والحداثة.
- النمو اللغوي عند الطفل(1993) تناول فيه تطور اللغة لدى الأطفال في دراسة ميدانية تطبيقية.
- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (2013) حيث قدم فيه دراسة نظرية للمفاهيم العرفانية وطبقها على القرآن الكريم.
- التداولية العصبية التداولية التي لم نعرفها (2020) قدم في هذا الكتاب رؤية جديدة للتداولية فقط تناولها من منبتها الأصلي فدرسها وبحث فيها في الدماغ.
- اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري(2017) حيث اقتصرت هذه الدراسة على مقارنة اللغة الانفعالية في القرآن والشعر.
- نظرية الاستعارة العصبية ما بعد المزج المفهومي(2023) حيث طرح في هذا الكتاب نظرية جديدة وهي الاستعارة العصبية وحاول تفسيرها.

- الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية (2025) قارب فيه بين الاستعارة والسخرية.
- المعالجة العصبية للغة (2022) تطرق فيه إلى كيفية معالجة اللغة في الدماغ ووقف عند الآليات المعرفية التي عالجتها.
- فعلت وأفعلت(دراسة دلالية صرفية)(2008).

ملحق رقم 02:

أ.د/ عطية سليمان أحمد
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة السويس
السحاب
الإستعارة
والسخرية
مقـــــاربة تـــــداولية عرفـانية

قائمة المصادر
و المراجع

أولا:القرآن الكريم

ثانيا: المعاجم:

- صالح غليوس، معجم مصطلحات لسانيات عرفنية، نور للنشر، تاريخ النشر2004.

ثالثا: المصادر:

1- عطية سليمان أحمد، الاستعارة و السخرية مقاربة تداولية عرفنية، وكيل كلية التربية، جامعة السويس.

2- عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2023.

رابعا: المراجع:

***الكتب العربية:**

1- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.

2- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم.

3- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس، الدار البيضاء، ط2، 2011.

4- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، دار شمس، القاهرة، ط1، 2010.

5- عبد الجبار بن غريبة و مدخل غلى النحو العرفاني، كلية الآداب والفنون الأساسية بمنوبة، تونس، ط1، 2010.

6- عبد الحليم، محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ. دار الجمهورية، طرابلس ط1، 1988.

7- عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006.

8- عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة العربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015.

9- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1988.

10- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المنار، مصر، ط3، 1366هـ.

11- عطية سليمان أحمد، التداولية العصبية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة-مصر، ط1، 2020.

12- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، وكيل كلية التربية جامعة السويس.

13- عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2010.

14-عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة- مصر، ط1، 2022.

15- عطية سليمان أحمد، الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي و التداولية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة مصر،2014.

16- عطية سليمان أحمد، نظرية الاستعارة العصبية والمزج المفهومي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2023.

17- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان- بيروت، ط2، 1984.

18- محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني دار النهى، صفاقس، ط1، 2009.

19- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002.

20-المنجي القلفاط، الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفاني، جامعة منوبة تونس،2012.

21- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية، الأزهر، ط1 1979.

22- يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي، الأهلية، عمان، ط2، 1977.

***الكتب المترجمة:**

1-أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفلة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط1، 2005.

2- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبة الاسكندرية، ط1، 1996.

3- جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق النعمان، مكتبة الاسكندرية، مصر،2014.

خامسا: المجالات:

1- آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة جامعة العربي التبسي تبسة، الجزائر،مج2، العدد45، 2020.

2- بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية و تاريخ اللسانيات، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، قطر، مج1، العدد1، 2017.

3- جعفري عواطف، لحمادي فطومة، الاستعارة والنظرية العرفانية مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي تبسة، الجزائر مج11، ع1، 2018.

4- عز الدين عماري، الربيع بوجلال، مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات العرفانية وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، مج3، عدد خاص2019، 2019.

5- عمار لعويجي، تداولية الاستعارة، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية المركز الجامعي سي الحواس- بريكة- الجزائر، مج2، ع2، 2019.

6- فيفيان إيفانر و ميلاني جرين، تر: عبد العزيز، طبيعة اللسانيات الإدراكية مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج4، العدد100، 2017.

7- مشاري عبد العزيز الموسى، أسلوب السخرية نظرياته وإشكاليته، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر، مج13 ع2، 2020.

8- نبيل محمد الصغير، الفكر التداولي عند جون سيرل، مجلة أنستة للبحوث والدراسات، جامعة مولود معمري، مج1، ع12، 2015.

سادسا: ديوان:

1- عبد الواحد لؤلؤة، الأرض اليباب، المؤسسة العربية، بيروت، ط3، 1933.

2- محمود درويش، الأعمال الكاملة، مكتبة الاسكندرية، 2011.

3- عبد الرحمن شكري، ديوان عبد الرحمن شكري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر- القاهرة، 2012.

فهرس الموضوعات

المحتوى **رقم الصفحة**

شكر وعرفان.....

مقدمة..... أ- ج

الفصل الأول: في مفهوم الاستعارة والسخرية.....1-32

توطئة.....2

1- اللسانيات العرفانية:.....2-8

1-1- تعريف اللسانيات العرفانية:.....2-4

1-2- نشأة اللسانيات العرفانية.....4-7

1-3- أسس اللسانيات العرفانية.....7-8

2- الاستعارة والسخرية.....9-32

2-1- الاستعارة.....9-27

2-1-1- الاستعارة عند البلاغيين القدماء.....9-11

2-1-2- الاستعارة عند العرفانيين.....11-26

2-1-2-1- الاستعارة التصورية.....15-19

2-1-2-1-1- الاستعارة البنيوية.....19-20

2-1-2-1-2- الاستعارة الأنطولوجية.....20-22

2-1-2-3- الاستعارة الاتجاهية.....22-23

2-1-2-2- نظرية المزج المفهومي.....23-26

2-1-2-3- الفرق بين الاستعارة التصورية واستعارة المزج المفهومي.....27

2-2-السخرية.....28-32

2-1- أساليب السخرية.....29-30

2-2- أسباب السخرية.....31

2-3- الفرق بين الاستعارة والسخرية.....31-32

الفصل الثاني: قراءة في كتاب الاستعارة والسخرية..... 33-94

توطئة.....34

أصول الاستعارة في فكر عطية سليمان.....34-36

1- تقديم الكتاب.....37-44

1-1- بطاقة فنية للكتاب.....37

1-2- دراسة عنوان الكتاب.....37-38

1-3- سميائية الغلاف.....39-40

1-4- القيمة العلمية للكتاب.....40-41

1-5- محتوى الكتاب.....41-44

2- معالجة قضايا الكتاب.....45-94

2-1- قضية الاستعارة والسخرية بين العرفانية والتداولية.....45-70

2-2- قضية الاستعارة والسخرية بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي.....71-82

2-3- قضية المقابلة بين الاستعارة والسخرية.....83-87

2-4- قضية الاستعارة والسخرية في النظريات الحديثة.....88-92

2-4-1- نظرية الارتباط والاستعارة.....88-90

2-4-2- نظرية الارتباط والسخرية.....90

2-4-3- نظرية التظاهر والسخرية.....91

2-4-4- الاستعارة والسخرية والنظرية الحديثة.....92

2-5- نقاط القوة في الكتاب.....93

2-6- مآخذ على الكتاب.....94

خاتمة.....96-98

ملحق.....100-102

قائمة المصادر والمراجع.....104-108

فهرس الموضوعات.....110-112

ملخص.....114-115

ملخص

ملخص:

تهدف الدراسة إلى معالجة الاستعارة والسخرية من منظور عرفاني وتداولي من أجل معرفة كيفية توظيف هاتين الأداتين لتحقيق أغراض تواصلية ومعرفية، لم يعدا مجرد أساليب بلاغية بل أضحتا عمليتين ذهنيتين تصنعان وتعالجان في الدماغ وتشابكاته، وامتدتا إلى الجانب التداولي ونسجتا جذورهما مع السياق وتفاعلا معه فكلاهما يلعب دورا معرفيا في تجسيد المعرفة.

معتمدين في ذلك على كتاب" الاستعارة والسخرية مقاربة تداولية عرفانية" لتخلص الدراسة بنتيجة مفادها ضرورة دمج البعد العرفاني بالبعد التداولي لتحقيق فهم أعمق وأشمل للاستعارة والسخرية.

الكلمات المفتاحية:الاستعارة، السخرية، البعد التداولي، البعد العرفاني، الذهن السياق.

Abstract :

This study aims to investigate metaphor and irony from a cognitive and pragmatic perspective, in order to understand how these linguistic tools are employed to achieve communicative and cognitive purposes. they are no longer mere rhetorical devices; rather, they have become two mental processes that are constructed and processed in the brin, extending to the pragmatic aspect and intertwining their roots with the context, where each plays a cognitive role in embodying knowledge.

Focusing on the book"Metaphor and Irony :A cognitive pragmatic approach ," This study concludes with the necessity of integrating the pragmatic dimension with the cognitive dimension to achieve a deeper and more comprehensive understanding of metaphor and irony.

Keywords: Metaphor, Irony, Pragmatic Dimension, Cognitive Dimension, Mind, Context.